

أم سليم رضي الله عنها دروس وعبر

تأليف فضيلة الشيخ المحدث:



بإشراف المكتب العلمي

   Aaalsaad7

 Aalsaad



 assaad1439@gmail.com



أم سليم رضي الله عنها

دروس وعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمد، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد... فهذه ترجمة لأم سليم رضي الله تعالى عنها ولأهل بيتها، مع بعض الفوائد التي تستفاد من قصتها، وربطها بالواقع الذي نعيشه، كنت قد أمليت بعضها على الابن هيثم بن محمود خميس، ثم ألقيتها في حلقات متتابعة في شهر رمضان ١٤٣٠هـ في مسجد علي بن المديني، وقد قام الابن هيثم بتفريغها وضبطها وتخريجها، فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه.

وبالله تعالى التوفيق.



وسطعت شمس الحقيقة

لما سطع نور الإسلام على الدنيا، حاول المشركون عبثًا إطفاءه، وأنى لهم ذلك، وقد قال الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[(١)].

فأعلن مشركو مكة عداوتهم للدين وأهله، فعذبوا من آمن مع النبي محمد أشد العذاب، حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة، وكان ملكها وقتئذ على الكفر، لكنه لا يظلم عنده أحد.

ولم تكتف قريش بخروج هؤلاء المسلمين الضعفاء من مكة، حتى أرسلوا وراءهم إلى الحبشة من يوُغِر صدر ملكها عليهم، ويوقع بينه وبينهم، حتى يطردهم ملك الحبشة منها، فلا يجدون ملجأ إلا مكة، فيخلى بينهم وبين المشركين، يسومونهم سوء العذاب، لكن رحمة الله قريب من المحسنين، فيقف الطيار جعفر مستدلا من كتاب الله على كذب مزاعم قريش، فتفيض عينا النجاشي، ويقشعر بدنه، ثم يعلن قراره: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي [وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ]، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ**»[(٢)].

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣٢).

(٢) «مسند أحمد»: (٢٢٤٩٨).

وتمضي الأيام، ولا يكف المشركون أذاهم عن كل من ترك الضلالة واتبع الهدى، وغاظهم ما وجدوه من إصرار المسلمين، فها هو الدين يصل إلى كل شعب وواد، عدد المسلمين يومًا بعد يوم في ازدياد، فلم يقابل المشركون ذلك إلا بالحقد والعناد، فهددوا وتوعدوا، وأرعدوا وأزبدوا، فعذبوا العبيد والأحرار، حتى سقت أرضَ مكةَ دماءُ الأطهار، حينها أذن الله للمسلمين بالهجرة والفرار، إلى المدينة حيث الطمأنينة والاستقرار، فخرج المسلمون مهاجرين، وفي رحمة الله طامعين، يحدوهم الفرح بالنجاة من عدوهم، والحزن على عنادهم، فكم تمنوا أن يكونوا مسلمين.

انطلقت قوافل المهاجرين تطوي الأرض طيا، وهمتهم كادت تلمس الثريا، لم يلتفتوا إلى ما أصابهم من لأواء، أو ما يجدونه من جهد وعناء، وعلى مشارف المدينة يقف الأنصار الأتقياء، أهل الكرم والإيثار والسخاء، ينتظرون وصول إخوانهم المهاجرين... ها هي القلوب تخفق شوقا، والأكف ترفع لله حمدًا، إذ اختارهم الله أنصارًا لنبيه دون غيرهم، فكانوا نعم النصير.

ها هو النبي ﷺ يصل المدينة، القصواء تحمله، والمسلمون يلتفون حوله، والكل يأخذ بزمامها يريد الظفر بضيافة رسول الله، فيقول لهم: «**اتركوها فإنها مأمورة**»[1].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٢٩٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٤٤)، وينظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٢/ ٤٩٨).

أحسن الأنصار استقبال ضيوفهم، بل وضعوا بين أيديهم كل ما لديهم، ها هو مالي أقسمه شطرين، وهاهي أرضي بيني وبينك.. قدم كل ما يستطيعه، ولله دَرُّهُم!

ولم تجد أم سليم ما تقدمه لرسول الله ﷺ، فقدمت أعز ما لديها، فلذة كبدها: أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث جاءت به إلى رسول الله ﷺ، فقالت: «يا رسول الله، هذا أنيس ابني، أتيتك به يخدمك...»[1].

سمع النبي ﷺ صوتها في الجنة:

إنها الشريفة العفيفة، أم سليم رضي الله عنها، تلك المرأة التي سمع النبي ﷺ صوتها في الجنة، ففي «صحيح مسلم» من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشَفَةً. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِه الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ، أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ**»[2]. والمقصود بالخشفة: الحس والحركة، لما سمع النبي صوتًا في الجنة سأل عن صاحبه، فأخبر أنه صوت أم سليم رضي الله عنها.

وجاء معنى هذا الحديث في «الصحيحين» من حديث ابن المنكدر، عن

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٤٨١).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٦٢٧٠)، وأحمد في «المسند» (١١٥٤٤ - ١١٦٢٤ - ١١٨٤٧) وفي رواية له: «**فَسَمِعْتُ خَشْخَشَةً بَيْنَ يَدَيَّ...**».

جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلالٌ...**»(١).

ففي هذين الحديثين بشارة عظيمة لأم سليم رضي الله تعالى عنها ولبلال كما في الحديث الثاني، بأنهما من أهل الجنة، وهذا مطلب كل مسلم، وغاية كل مؤمن بأن يحقق رضوان الله تعالى عليه، وأن يدخل جنته.

فها هي أم سليم رضي الله عنها قد بشرها الرسول ﷺ بالجنة وهي في الدنيا، وهناك بعض الصحابة ممن بشروا بالجنة -نسأل الله من فضله- وهذا يدل على علو مكانتهم وفضلهم، وعلى رأس هؤلاء -كما هو معلوم- العشرة المبشرون بالجنة، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة -رضي الله تعالى عنهم جميعًا وعن صحابة رسول الله ﷺ-.

من أم سليم؟

أود أن أقول لك: إن أم سليم رضي الله تعالى عنها قد اختلف في اسمها؛ ولعل السبب في ذلك أنها قد اشتهرت بكنيتها التي هي «أم سليم»، والغالب

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (٣٦٧٩)، واللفظ له وتمامه : «... **وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**». فقال عمر: «بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار».

فيمن يشتهر بكنيته أنه يُخْتَلَفُ في اسمه؛ - كما حدث لأبي هريرة رضي الله عنه فقيل: إن اسمها: سَهْلَة، وقيل: رُمَيْلَة، وقيل: رُمَيْثَة، وقيل: مُلَيْكَة(١)، وقيل: أُنَيْفَة(٢)، واختلف أيضًا في لقبها فقيل: الْغُمَيْصَاء -بالغين- كما في حديث أنس، وقيل: الرُّمَيْصَاء-بالراء- كما في حديث جابر، وكلاهما في «الصحيحين» كما تقدم.

وأم سليم هي بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم من بني عدي بن النجار، الأنصارية الخزرجية(٣)، فهي من الأنصار من الخزرج، وقد أصبح لقب الأنصار علمًا على الأوس والخزرج، ولم يكونوا يلقبون قبل ذلك به؛ لأنه لقب إسلامي، لقبهم الله عز وجل به لنصرتهم لله ولرسوله، وقد بقي هذا اللقب إلى الآن، فنعم اللقب.

إسلامها رضي الله عنها:

لأم سليم قصة عجيبة، حيث كانت من المبادرات للإسلام مع كونها من أهل المدينة، وقد بُعِث الرسولُ في مكةَ، إلا أنها كانت من المبادرات فيما يظهر، ولم يُذْكَر - فيما وقفت عليه- متى أسلمت، لكن الذي يظهر من سياق قصة إسلامها أنها من السابقات إلى الإسلام في قومها؛ ولذا عندما أسلمت قال لها

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٤/ ٤٦١).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (٢/ ٣٠٤).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٠٤).

زوجها مالك بن النضر: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت. فانظر إلى جوابها رضي الله تعالى عنها.

قل: لا إله إلا الله!!

في حديث همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن جدته أم سليم رضي الله تعالى عنها، أنها كانت تُلَقِّنُ[(١)] ابْنَهَا أنسًا الشهادتيْنِ، تقول له: قُلْ: لا إِلَهَ إِلا الله، قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَفَعَلَ. فَيَقُولُ لَهَا أَبُوهُ مالك بن النضر: لا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي. فَتَقُولُ: إِنِّي لا أُفْسِدُهُ[(٢)]. وهذا إسناد جيد.

فأرادت أم سليم رضي الله عنها الخير لابنها، فكانت تلقنه وهو صغير الشهادتين.

وفي هذه القصة فوائد منها:

أولاً: أن هذا يدل على قوة إيمان هذه المرأة، حيث إنها بادرت إلى دعوة ابنها إلى الإسلام، ولم تبالِ بإنكار زوجها عليها.

ثانيًا: أن الشخص سواء كان رجلًا أو امرأة ينبغي أن يكون داعية إلى الإسلام، كما قال تعالى في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ

(١) انظر إلى الاهتمام بالأولاد وهم صغار؛ فالتلقين يكون للصغار في الأصل، وإن جاء في الحديث: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلا الله**».

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٠٥).

بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾[١]، ففي هذه السورة اشترط الله ﷻ أربعة شروط لنجاة الإنسان، أولها: الإيمان، وثانيها: العمل الصالح، وثالثها: التواصي بالحق وهو الدعوة إليه، ورابعها: التواصي بالصبر.

ثالثًا: في هذه القصة الاهتمام بالناشئة، وأن الشخص يجب عليه أن يعلم أولاده الخير، وعلى رأس هذا الخير: الدين، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[٢].

وفي «الصحيحين» من حديث نافع، عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمْسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**. قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: **«وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**[٣].

---

(١) سورة العصر كاملة.

(٢) سورة التحريم، الآية (٦).

(٣) رواه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (٥١٨٨)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإمارة رقم (١٨٢٩).

فذكر أن الرجلَ راعٍ في بيته، والمرأةَ راعيةٌ في بيت زوجها، وذكر الرسول ﷺ: «**فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مُسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**».

وجاء في «السنن» من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءَ عَشْرِ سِنِينَ، وفرِّقوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[1]، وهذا الخطاب أول ما يتوجه للأب، فإذا لم يقم الأب بذلك أو كان متوفًى فيتوجه للأم.

ولعلك تلاحظ أن كثيرًا من الناس اليوم يوجهون جل اهتمامهم إلى الناحية المعيشية وتعليمهم العلوم المادية فقط، حتى تجد بعضهم قد يهتم كثيرًا بتعليم ولده اللغة الأجنبية، فيلقنه ذلك وهو صغير، ويترك تعليم الولد دينَه ولغتَه العربيةَ، وهذا مردود شرعًا، وغير مقبول عقلًا، وقد جاء في «الصحيحين» من حديث الشعبي، عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ**»[2]: فذكر منهم: «**رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَعَلَّمَهَا وَأَحسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبَهَا وَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا**»، فهذا إذا كان في الأمة المملوكة فكيف بولد الإنسان الذي هو من صلبه؟!

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (٤٩٥).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم من أهل الكتابين (٣٠١١)، و«صحيح مسلم»، كتاب الإيمان (١٥٤).

الاستقامة على الدين سبب حصول خيري الدنيا والآخرة:

نعم ما فعل هؤلاء ذلك إلا حرصا منهم على مستقبل أولادهم، وهذا من تعلقهم بالدنيا وغفلتهم عن الآخرة، ويظن هؤلاء المساكين أن بفعلهم هذا قد أحسنوا لأولادهم أيما إحسان، ولا يدري هؤلاء المساكين أنهم بفعلهم هذا قد أساؤوا لأولادهم غاية الإساءة، وأي فائدة يجنيها هذا الولد عندما يكون جاهلًا بدينه ولا يعرف لغته! ومما لا خلاف فيه أن السعادة كل السعادة، والخير كل الخير عندما ينشأ الأولاد على الدين والأخلاق والصفات الطيبة، وأنهم سوف يحصلون على خيري الدنيا والآخرة.

وسوف يأتيك مزيد بيان لما حصل لأنس رضي الله عنه فقد جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، فأما ما يتعلق بأمر الدنيا فكان من أكثر الناس عُمُرًا وأولادًا ومالًا، وأما خير الآخرة فهو الخير الذي حصل له بصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمته له.

كان سببًا في إسلام أمه:

قد تكون استقامة الولد سببا في حصول الخير والسعادة لوالديه في الدنيا والآخرة، فكم من شخص اهتدى على يد ابنه، ومن الأمثلة على ذلك ما وقع لأم أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، فقد كان سبب إسلامها على يد ابنها أبي هريرة، أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» قال: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا عمر بن يونس اليمامي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن أبي كثير، يزيد بن

عبدالرحمن، حدثني أبو هريرة قال: «كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ وَهي مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله ﷺ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ! اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الله ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشَفَ قَدَمِي. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ فَرَجَعْتُ إِلى رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ! حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** -يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- **وَأُمَّهُ إِلى عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِم الْمُؤْمِنِينَ**»، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلا يَرَانِي، إِلا أَحَبَّنِي[1].

صغير يدخل والده المسجد:

(١) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٩١).

هذه قصة بلغتني من أحد المدرسين، أقص ملخصها عليك: كان هنا كمعلم في المدرسة يحثُّ طلابه على المحافظة على صلاة الفجر في المسجد، فطلب أحد الطلاب من والدته أن توقظه لصلاة الصبح، فلم تفعل خوفًا عليه، وقد كان والده لا يصلي الصبح مع الجماعة في المسجد، فعندما أيقظته كالعادة للذهاب للمدرسة سألها لماذا لم توقظيني للصلاة؟ فتعلَّلت بأنها لم تستيقظ، فطلب منها في اليوم الثاني ذلك أيضًا فلم توقظه، واحتجت بأنها لم تستيقظ، فعلم حينئذ أن أمه قد تعمدت ذلك، فامتنع عن الذهاب إلى المدرسة، فاضطرت إلى أن توقظه للصلاة، وأيقظت والده معه حتى يذهب به إلى المسجد، فذهب الأب به إلى المسجد، فنزل الابن وبقي الأب في السيارة، ولعله يريد أن يكمل نومه، فتكرر ذلك، حتى فتح الله ﷻ على هذا الأب، وأخذ يسأل نفسه: لماذا يأتي الناس إلى المسجد وهو لا يصلي معهم؟! فبعد ذلك نزل وتوضأ وصلى مع الناس، فكان هذا الابن سببًا في هذا الخير الذي حصل للأب.

اعتناء النبي ﷺ بالناشئة:

كان من اعتنائه ﷺ بالناشئة أنه كان يلقنهم التوحيد وتعظيم الله جل وعلا، والنماذج على ذلك كثيرة، منها حديث ابن عباس المشهور الذي أخرجه الترمذي من طريق قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، أنه قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ:**

احْفَظْ اللهَّ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

فهذه المعاني التي جاءت في هذا الحديث معاني عظيمة جدًّا، حتى قال أبو الفرج ابن الجوزي: تدبرت هذا الحديث فكاد عقلي يطيش، ومع ذلك عندما علمه رسول الله ﷺ لابن عباس كان وقتها صغيرًا، وقد لا يستوعب بعض المعاني التي جاءت في هذا الحديث، ولكنه إذا كبر وتأمل فيها فسوف يستوعبها، فهذا التعلم باعتبار ما سوف يأتي.

تعليم النبي ﷺ للحسن دعاء القنوت وهو صغير:

وقد أخرج النسائي من طريق أَبي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ فِي الْقُنُوتِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا**

(١) رواه الترمذي في «السنن»، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ (٢٥١٦).

يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[(١)].

وقد كان الحسن صغيرًا جدًّا؛ لأنه عندما توفي رسول الله ﷺ كان عمره سبع سنوات، ومع عظم هذه المعاني التي جاءت في هذا الحديث، فربما لم يستوعبها الحسن لصغره، لكنه لما كبر فقهها، ومن ذلك ما رواه البخاري عن الحسن أنه عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فمه، قال له رسول الله ﷺ: «**أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»[(٢)].

قد يظن بعض الناس أنه من الخطأ تعليم الأولاد مثل هذه المعاني، ويظن أنهم لا يستوعبون ما يتعلمون أو يحفظون في هذه السن، وهذا غير صحيح؛ فعبد الله بن عباس والحسن كلاهما قد حفظ عن رسول الله ﷺ ثم بعد ذلك بلغوه للأمة، وإذا كان الطفل لا يستوعب بعض المعاني، فإنه سوف يفهم بعضها إذا كبر؛ ولذا نص أهل العلم على أنه لا بأس أن يتحمل الإنسان الحديث وهو صغير، لكن لا يحتج بها حفظ إلا بعد أن يبلغه وهو كبير.

---

(١) رواه النسائي في «الصغرى»، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب: الدعاء في الوتر (١٧٤٥)، وأخرجه الترمذي في «جامعه»، أبواب الوتر، باب: باب ما جاء في القنوت في الوتر (٤٦٤)، وقال بعده: هذا حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي واسمه ربيعة بن شيبان.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب: ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ وآله، (١٤٩١) واللفظ له، ومسلم كتاب الزكاة (١٠٦٩).

وقد حدثني بعض طلابي أن هناك من منَّ الله عليه بختم القرآن وهو ابن ست سنين، وأخته كذلك قد ختمت القرآن وهي في العام السادس من عمرها وغيرهما كثير، وكذلك سمعنا من يخطب الناس ويعظهم وهو ابن خمس سنين أو أقل من ذلك أو أكثر، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

مهر أم سليم أغلى مهر في التاريخ:

خرج مالك بن النضر زوج أم سليم فجاء إليه عدو فقتله -فمات كافرًا- وتأيمت أم سليم، فأراد أبو طلحة الأنصاري أن يخطبها -وكان على دين قومه-فقالت: لا أقبل مهرًا سوى الإسلام، إذا أسلمْتَ فهذا مهري.

وجاء في بعض الروايات أنها ناقشته، من ذلك ما جاء عن سليمان بن المغيرة قال: حدثنا ثابت، عن أنس، قال: خَطَبَ أبو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ أَتَزَوَّجَ مُشْرِكًا، أَمَا تَعْلَمُ يَا أَبَا طَلْحَةَ أَنَّ آلِهَتَكُمْ يَنْحَتُهَا عَبْدُ فُلانٍ، وَأَنَّكُمْ لَوْ أَشْعَلْتُمْ فِيهَا نَارًا لاحْتَرَقَتْ؟ قَالَ: فَانْصَرَفَ وَفِي قَلْبِهِ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهَا وَقَالَ: الذِي عَرَضْتِ عَلَيَّ قَدْ قَبِلْتُ، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهَا مَهْرٌ إِلا الإِسْلامُ[١].

وقد قال ثابت البناني: ما سمعنا مهرًا قط أكرم من مهر أم سليم.

---

(١) ينظر: «طبقات ابن سعد»: (٨/ ٤٢٧).

وأخرج النسائي من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، قال: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا.

قَالَ ثَابِتٌ: «فَمَا سَمِعْتُ بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ الْإِسْلَامَ، فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ»[١].

وأخرج أيضًا من حديث عبدالله بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس قال: «تزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام، أسلمت أم سليم قبل أبي طلحة، فخطبها فقالت: إني أسلمتُ، فإن أسلمتَ نكحتُكَ فأسلمَ، فكان صداق ما بينهما»[٢]. وفي هذا دليل على أنه يشرع أن يكون المهر هو الإسلام وليس غيره، كما في هذه النصوص؛ ولذا بوب النسائي عليه فقال: «التزويج على الإسلام».

ومثل هذا التزويج على سور من القرآن الكريم، كما في حديث سهل بن سعد الساعدي الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وفيه أن رجلًا طلب من رسول الله ﷺ أن ينكحه امرأة، قال: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ**»؟ قال: لا،

(١) أخرجه النسائي في «الصغرى»، كتاب النكاح، باب: التزويج على الإسلام (٣٣٤١).

(٢) «سنن النسائي الصغرى»، كتاب النكاح، باب: التزويج على الإسلام (٣٣٤٠).

قال: «**فَاذْهَبْ وَاطْلُبْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**»، فذهب وطلب ثم جاء فقال: ما وجدت شيئًا، ولا خاتمًا من حديد، قال: «**هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ**»؟ قال: معي سورة كذا وسورة كذا، قال: «**اذْهَبْ فَقَدْ أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»[(١)]، وقد بوب عليه البخاري: «باب التزويج على القرآن وبغير صداق».

فانظر إلى هذه الفائدة العظيمة التي استفادها علماء الإسلام من قصة أم سليم؛ فالحمد لله على الإسلام وكفى بها نعمة.

والآن تجد بعض الناس يغالي في المهور، فيطلب مهرًا كبيرًا حتى إنه يأخذ المهر ولا يعطيه ابنته، بل إن بعض الناس أشد من ذلك ظلمًا، لا يزوج بناته؛ لأنهن يَعْمَلْنَ، ويريد أن يأخذ راتبهن، كل هذا حبًّا في الدنيا، ونسي أن نهاية حياته الموت وترك الدنيا، لكن انظر إلى أم سليم قالت: لا أريد مهرا سوى الإسلام، فحصل لها بهذا الزواج بركة الدنيا وبركة الآخرة[(٢)].

الحمد لله على نعمة الإسلام:

وانظر إلى هؤلاء النصارى الذين يعبدون عيسى عليه السلام الذي هو مخلوق

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»، كتاب النكاح، باب: التزويج على القرآن وبغير صداق (٥١٤٩)، ومسلم، كتاب النكاح (١٤٢٥).

(٢) قد يسأل سائل ما الذي أعلمك ببركة الآخرة؟ فنقول: إن الرسول ﷺ أخبر أنها من أهل الجنة كما تقدم؛ ولأنها بهذا الفعل أرادت ما عند الله عز وجل.

مثلهم، بل يعبدون الصنم ويقدسونه، ويعلقونه في رقابهم، واليهود أضل وأضل، وانظر إلى غيرهم ممن يعبد الأصنام والأوثان،أما نحن فهدانا الله ﷻ إلى دين الإسلام، وهل هناك أعظم من هذه النعمة؟ قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[١]، قيل الباطنة: الإسلام، فلا يوجد نعمة أعظم من هذه النعمة، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

أم سليم تُقَدِّم ابنها أنسًا لرسول الله ﷺ:

وعندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة هب الأنصار، كل واحد يريد أن ينصر رسول الله ﷺ، وأن يفعل ما يستطيع، وأم سليم امرأة، ليس عندها مال أو منصب، فماذا فعلت لنصرة هذا الدين؟ لقد أتت أم سليم بابنها أنس وهو صغير، فقد جاء في «الصحيحين» من أكثر من طريق قالت: يا رسول الله، خويدمك أنس.

هذا بعض ما فعلته أم سليم نصرةً لدينها؛ وذلك بأن جعلت من ابنها الصغير خادمًا لرسول الله ﷺ، فحصل بسبب ذلك خير كثير، فأنس عندما لازم الرسول من أجل القيام بخدمته، صار بعد ذلك من علماء الصحابة، وكان من أكثرهم رواية لحديث رسول الله ﷺ، بل هو من الأربعة الذين هم أكثر الصحابة رواية للحديث، وهم: أبو هريرة وقد روى عنه (٥٣٧٤)

(١) سورة لقمان، الآية (٢٠).

حديثًا، وعبدالله بن عمر وأنس وعائشة، وكل واحد منهم قد روى أكثر من ألفي حديث، وقد بث هذا الكم الهائل في الأمة، فاستمر بتبليغ سنة رسول الله ﷺ حتى توفاه الله ﷻ، وقد أخذ عنه الجم الغفير من التابعين، وفيهم من هو من مشاهير التابعين كالحسن البصري، وابن سيرين، والزهري، وثابت البناني، وقتادة، وحميد الطويل، وغيرهم ممن تعلم من أنس واستفاد منه، حتى غدت البصرة -وهي المدينة التي سكنها أنس فيها بعد- من أكثر الأمصار الإسلامية رواية لحديث رسول الله ﷺ، فالبصرة والكوفة بعد المدينة من حيث الرواية، وقبل مكة، ثم أخذ عن هؤلاء جمع من أتباع التابعين، وفيهم من هو من كبار أهل العلم، كأيوب السختياني، وجرير بن حازم، وخالد الحذاء، وسليمان التيمي، وعبدالله بن عون، وعوف الأعرابي، وهشام بن حسان، ويونس بن عبيد، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ثم بعد هؤلاء: معتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم... ثم بعد هؤلاء علي بن المديني وأبو حفص الفلاس، وغيرهم من أفاضل أهل العلم، فانظر إلى الخير الذي أجراه الله ﷻ على يد أم سليم بهذا الفعل.

اجعل ولدًا من أولادك يخدم دين الله:

والآن تجد الواحد من الناس له الخمسة أو العشرة من الأولاد، ولا يهيئ واحدًا منهم لخدمة هذا الدين ونصرته، ولو أن كل شخص جعل من أولاده

ولدًا واحدًا، يهيئه ليكون عالمًا لحصل الخير الكثير، ولانتفى الجهل بين الناس، والله المستعان.

النبي ﷺ يصلي في بيت أم سليم، ويكرمها، ويدعو لأنس:

لا يخفى أنه إذا كان الزائر ممن تحب الجلوس معه ومحادثته فإنك تفرح بزيارته، فكيف إذا كان الزائر هو سيد ولد آدم ﷺ؟! فقد ثبت في «صحيح البخاري» من حديث سفيان بن عيينة، عَنْ إِسْحٰقَ بْنِ عَبْدِالله، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقُمْتُ وَيَتِيمٌ خَلْفَهُ، وَأُمُّ سُلَيْمٍ خَلْفَنَا»(١).

وفي «صحيح مسلم» من حديث سليمانَ، عنْ ثابتٍ، عنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي فَقَالَ: «**قُومُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ**» فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلاةٍ، فَصَلَّى بِنَا، ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَتْ أُمِّي: خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللهَ لَهُ، فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ أَنْ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ**»(٢).

وفي «صحيح مسلم» أيضًا من حديث عبدالوارث، عن أبي التياح، عن أنس قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، فَرُبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلاةُ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرَ بِالبِسَاطِ الذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسَ، ثُمَّ يُنْضَحَ، ثُمَّ يَؤُمُّ رَسُولُ الله ﷺ،

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب صلاة النساء خلف الرجال (٨٧١).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٠).

وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا، وَكَانَ بِسَاطُهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ»[١]، وأخرجه البخاري[٢] بالطريق نفسه.

وكان رسول الله ﷺ لاَ يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِ، إِلا أُمِّ سُلَيْمٍ[٣]. فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: «**إِنِّي أَرْحَمُهَا، قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي**»[٤]. إنه حرام بن ملحان أخو أم سليم، فانظروا إلى هذه العائلة المباركة، وانظروا إلى هذا البيت، لكن ما قصة حرام بن ملحان؟

فزت ورب الكعبة:

جاء أبو براء إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، أرسل معي أناسًا إلى أهل نَجْدٍ لعلهم يسلمون -يدعوهم للإسلام- فقتلهم عامر بن الطفيل من بني عامر بن صعصعة، وكان حرام بن ملحان يدعوهم إلى الإسلام، مقبلًا عليهم حريصًا مشفقًا، وبينما هو كذلك إذا بطعنة غادرة تأتيه من خلفه، فقد طعنه أحدهم بحربته، فإذا بالصابر المحتسب يقول: فزت ورب الكعبة.

فاضت روحه وهو يدعو إلى توحيد الله ﷻ، فأنعم بها من فضيلة، وأنعم

(١) «صحيح مسلم»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦٩٥).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل (٦٢٠٣).

(٣) وأم حرام بنت ملحان، أخت أم سليم.

(٤) «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير (٢٨٤٤)، و«صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٤٥٥).

بها من شهادة نحسبه والله حسيبه.

أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم:

كان الرسول ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان، وهي أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك، وهي زوجة عبادة بن الصامت، كانت رضي الله عنها من علية النساء، حدَّث عنها أنس بن مالك وغيره.

أخرج البخاري (٣٨٠) من طريق مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، ومسلم (٦٦٠) واللفظ له من طريق سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، كلاهما عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «دَخَلَ النبي ﷺ عَلَيْنَا، وَمَا هُوَ إِلا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، قَالَ: «**قُومُوا فَلأُصَلِّ بِكُمْ**»، قَالَ: فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلاةٍ، قَالَ: فَصَلَّى بِنَا[(١)].

وأخرج البخاري - واللفظ له - (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢) عنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ - وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ،

(١) ولفظ البخاري: أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ الله ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُومُوا فَلِأُصَلِّ لَكُمْ**». قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا، قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ، وَصَفَفْتُ وَاليَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ».

فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا البَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ**، أَوْ: **مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**»، شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهِمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله**» – كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ – قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**»، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ.

قال الذهبي: يقال هذه غزوة قبرس[١] في خلافة عثمان... وبلغني أن قبرها تزوره الفرنج[٢].

بيت صالح:

إن الرجل هو المنوط به تأسيس بيته، ورعاية أهله وأبنائه، لكن البيت الذي نحن في صدد الحديث عنه، أعني بيتَ أمِّ سليم، هي التي أسسته، وأرست دعائمه، فكان بيتًا صالحًا؛ إذ أسسته على هدي الإسلام، فكانت سببًا في

(١) جزيرة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم، وكان أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان، ومعه أبو ذر، وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، ذلك سنة سبع وعشرين.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء»: (٢/ ٣١٦-٣١٧).

إسلام ولدها وفي إسلام زوجها، فقام هذا البيت، وارتفع شأنه، وبقي ذكره، فرضي الله عن أم سليم.

ليس هذا فحسب من مناقب أم سليم، إن مناقبها لكثير جدًّا، وسيأتي تباعًا ذكر بعضها.

لقد ذكرت لك سابقًا أن أم سليم رضي الله تعالى عنها أتت بابنها إلى الرسول ﷺ، حتى يخدمه ويتعلم منه، وهذا من فقه هذه المرأة، فماذا أصبح أنس بعد ذلك؟ لقد أصبح من علماء الصحابة، ومن أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ.

المكثرون من رواة الحديث:

المكثرون من رواية حديث رسول الله ﷺ سبعة، على رأسهم أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، الحافظ الجليل، روى أكثر من خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعين حديثًا (٥٣٧٤)، وأنس وعبدالله بن عمر وعائشة رضي الله تعالى عنهم جميعًا رووا في حدود الألفي حديث، فهؤلاء لا يروون قصصًا وأخبارًا، بل يروون حديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فهذا بفعل أم سليم رضي الله تعالى عنها، عندما أتت بأنس إلى سيد البشر ﷺ. وبعد هؤلاء الأربعة، ثلاثة: ابن عباس، وجابر، وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم جميعًا، كل واحد أكثر من ألف حديث، فهؤلاء السبعة المكثرون عن النبي ﷺ.

دعوات مستجابة من سيد الخلق:

عندما أتت أم سليم بابنها أنس لرسول ﷺ، قالت: ادع الله له، فدعا له بثلاث دعوات عظيمة، وفي رواية دعا له بخيري الدنيا والآخرة، فدعا له الرسول ﷺ بكثرة المال والولد، وطول العمر، والبركة فيما أعطي.

لا تقل: «أطال الله عمرك» فقط:

أمَّا من حيث العمر، فقد وصل أنس رضي الله عنه إلى المئة سنة، وليس هناك فائدة من كثرة العمر إلا إذا كان في طاعة الله، كما أجاب بذلك النبي ﷺ عن سؤال: أي الناس خير؟ قال: «**مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»(١)، فعندما تقول

(١) «مسند الطيالسي»: (٩٠٥)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٢٤)، «مسند أحمد»: (٢٠٤١٥)، الدارمي (٢٩٤٤)، «سنن الترمذي» أبواب الزهد: (٢٣٣٠)، «المستدرك»: (١٢٥٦)، كلهم من حديث علي بن زيد بن جدعان، عن عبدالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال البزار (٩/ ٩٢): «وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَسَانِيدِ الَّتِي تُرْوَى فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله».

قلت: وابن جدعان لا يحتج به، ولكن له شاهد صحيح من حديث عمرو بن قيس، عن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤٢٠)، وأحمد (١٧٦٨٠)، وعبد بن حميد (٥٠٩)، والترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وصححه ابن حبان والحاكم، وحسنه المنذري وابن جحر، وجود إسناده ابن مفلح، وقال الترمذي: «حسن غريب من هذا الوجه»، وقد صرح عمرو بن قيس بالسماع من عبدالله بن بسر، ورواه عن عمرو بن قيس جمع. ينظر: «صحيح ابن حبان» (٨١٤)، «المستدرك» (١٢٥٦)،

لشخص: أطال الله بقاءك أو عمرك -بدون أن تقيد هذا بحسن العمل- فهذا خطأ، إذ ما الفائدة من طول العمر دون عمل صالح؟! فالشيطان أنذره الله ﷻ إلى يوم يبعثون، وبعض الناس إذا زاد عمرُه زاد عُتُوًّا وفُجُورًا -نسأل الله العافية والسلامة، وأن يعافينا وإياكم من هذا الصنف- فلابد أن يقيد هذا في طاعة الله في الإسلام.

دُفِن من أبناء أنس في حياته بضع وعشرون ومائة:

لقد أعطى الله أنسًا من الولد الشيء الكثير -بفضل دعوة النبي ﷺ له بأن يكثر الله ولده- ففي «صحيح البخاري» يقول أنس: «**وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجٍ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ**»[1]، وهذا إما أن يكون قد تزوج بأربعة، أو طلق بعضهن وتزوج غيرهن، أو يدخل في ذلك التَّسَرِّي، فهو بلا حد، والتسري يكون بالأمة المملوكة، فعندما ينتصر المسلمون على الكفار يأسرون رجالهم ونساءهم، فتصبح النساء ملك يمين، فهذا الرق عجز حكمي بسبب الكفر.

فالمهم أن أنسًا أعطاه الله ﷻ الشيء الكثير من الأولاد، حتى توفي له في حياته أكثر من عشرين ومائة ولد، فكيف بمن ماتوا بعد وفاة أنس؟! ولأبي

«شرح السنة» (٥/ ١٦)، «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٢٦)، «نتائج الأفكار» (١/ ٩٠)، «الآداب الشرعية» (١/ ٤٢٥).

(١) «صحيح البخاري» كتاب الصوم، باب: من زار قوما فلم يفطر عندهم (١٩٨٢).

محمد ابن حزم -رحمه الله- رسالة لطيفة ذكر سبعةً هم أكثر الناس أولادًا، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه.

بستان أنس يثمر في العام مرتين!

أما من حيث المال، فإنك ترى أثر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم واضحًا في بستانٍ لأنس يحمل في العام مرتين، قال أبو العالية: كنا نشم منه رائحة الريحان.

وفي رواية أنه دعا له بالجنة، كل هذا الخير ببركة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسبب في ذلك أمه أم سليم رضي الله عنها.

فما أجمل أن يقدم كل إنسان منا من صلبه أولادًا يخدمون الدين، وينشرون الخير، ويكونون مناراتٍ للهدى، وأعلامًا لنشر العلم والخير والفضيلة.

فلنحرص -إن لم نجعل أولادنا كلهم- أن نجعل بعضهم، أو ولدًا نقدمه لخدمة دين الله، يطلب العلم، وينبغ فيه، ويفتي الناس، ويدعوهم، ويعلمهم الخير، ويكون سببًا لهداية الناس، فإن لم تستطع أن تكون كذلك، فاجعل أحد أولادك أو أحد أحفادك لخدمة الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[١].

فهذه أم سليم أتت بابنها أنس، وعمره عشر سنوات، ولم يذكر غير أنس، فقد كان لأنس إخوة من أبيه، منهم البراء بن مالك وفي كونه شقيقًا لأنس

(١) سورة النحل، الآية (٧٢).

خلاف، و الراجح أنه ليس شقيقًا له، وإنما هو من أبيه، وقد ولدت أم سليم من أبي طلحة أولادًا بعد ذلك، وخلاصة القول أنها أتت بولدها الذي عندها وهو ابن عشر سنين، وقدمته لخدمة دين الله ﷻ.

وأنا أعرف أحد أهل العلم توفي رحمه الله من فترة ليست بالبعيدة، كل أولاده طلبة علم، وكلهم متخصصون في علوم الشريعة -نسأل الله من فضله-فقَدِّم واحدًا يكن لك منارة للعلم، ويأتي لك الأجر وأنت في قبرك، فهذا فعل أم سليم رضي الله تعالى عنها، وهناك من الناس من يكون سببًا لهداية الناس وتعليمهم، ولأن يكونوا أخيارًا صالحين.

حرص الأم على ابنها:

القصة التي سأذكرها لك الآن قصة واقعة، كان أحد الصبيان يأتي إلى شيخ له ويستفيد من علمه، فأراد والده أن يخرج ذات يوم إلى البرية -ولعلهم من أهل البادية- يقيمون بعض الوقت ثم يخرجون، فأراد أن يأخذ ولده معه، فجاء هذا الشيخ إلى بيته بعد صلاة الصبح، فوجد امرأة جالسة عند باب البيت بعد صلاة الصبح، فقال لها: ما عندك أيتها امرأة؟

قالت: إن أبا فلان يريد أن يخرج إلى البرية، ويريد أن يأخذ ولده معه، وأنا أريد أن يستفيد ولدي عندك، فقال: سيكون خيرًا إن شاء الله، فبعد ذلك ذهبت هذه المرأة إلى بيتها، ولم تخبر زوجها بشيء، وبعد صلاة من الصلوات، بعد أن صلى الشيخ، قال: يا أبا فلان، فجاء هذا الشخص، فقال الشيخ: نريد

أن يكون ابنك عندنا، فقال: حبًّا وكرامة، سمعًا وطاعةً، فخرج الرجل إلى البرية، وجلس الولد عند الشيخ، وما مرت الأيام إلا وأصبح هذا الولد قاضيًا، أي عالما يقضي بين الناس، فانظروا إلى هذا السبب اليسير الذي جعل الله فيه من الخير الكثير.

دين ودنيا:

وهذا شخص آخر من نحو تسعين سنة تقريبًا، أو مئة سنة في هذه البلاد، وأنا أعرف هذا الشيخ، توفي رحمه الله قبل بضع سنوات، ولد كفيفًا -أعمى-، أو أصيب بالعمى بعد ذلك وهو صغير، فتحرق والده عليه، وتفجع، وقال: هذا مسكين، من الذي يقوم بإعالته؟! أعمى كيف يعمل؟! من الذي يقوم بالإنفاق عليه؟! فتفجع وتوجع لابنه، لكن ماذا حصل لهذا الولد؟

لقد مرت الأيام، وأصبح هذا الولد أغنى إخوته؛ لأنه أصبح عالمًا، وتولى القضاء، وقد أدركتُه رحمه الله، وكان من أهل العلم والفضل، فأصبح أغنى إخوته بما جعله الله عز وجل من العلم الذي يسره له.

أظن قد اتضح لك جليًّا الآن ما أريد أن أقوله لك، فهناك أسباب يسيرة، يجعل الله فيها من الخير الشيء الكثير، كما حصل لأنس بن مالك رضي الله عنه.

احتسب ابنك عند الله:

جاء في «صحيح مسلم» من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن

أنس قال: «مات ابن[١] لأبي طلحة من أم سليم[٢]. فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال فجاء فقربت إليه عَشاءً، فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك؛ فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة! أرأيتَ لو أن قومًا أعاروا عارِيَّتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا**» قال فحملت»[٣].

فتأمل الآن كيف كان عقل هذه المرأة، وكيف ضربت المثل المناسب لزوجها، حتى توصل إليه أمر الله، ويا ليت النساء يتعلمن من حكمة أم سليم هذه، هذا المثل الذي فيه تثبيت وتسكين، لم تقل له أول ما دخل البيت وهي

(١) قيل: إن هذا الولد هو أبو عمير الذي كناه الرسول ﷺ، قال: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»؟ والنغير طائر، فثقل فتوفي.

(٢) يكنى أبو طلحة بهذه الكنية، وزوجته تكنى بأم سليم؛ وقد يكون ذلك لأنها كانت متزوجة قبله؛ وقد يكون أبو طلحة قد تزوج قبلها، وقد ألف بعض أهل العلم رسالة فيمن وافقت كنيتُه كنيةَ زوجتِهِ، وعندنا الآن في الغالب أن كنية الرجل هي كنية زوجته، ولكن في ما سبق ليس بلازم؛ ولذا فأبو هريرة رضي الله عنه كنيته غير كنية زوجته، أو كنية زوجاته إن كان قد تزوج أكثر من امرأة.

(٣) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢١٤٤).

تصرخ وتبكي: ماتت ابنك، لكن انظر هذا الكلام الجميل الذي يدل على عقلها وحكمتها.

وفي صبيحة هذه الليلة، ذهب أبو طلحة للرسول ﷺ وقص عليه القصة، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال له: «**بَارَكَ الله لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا**»، فحملت أم سليم بعد تلك الليلة، وحدث أمر عظيم، يأتيك بيانُه الآنَ، فاقرأ متأملًا أثر دعوة النبي ﷺ لهما.

يقول أنس في تتمة الحديث السابق: «قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ، إذا أتى المدينة من سفر، لا يطرقها طروقًا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ. قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم، يا رب، إنه ليعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى. قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة! ما أجد الذي كنت أجد، انطلق، فانطلقنا. قال وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلامًا. فقالت لي أمي: يا أنس! لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملتُه، فانطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ، قال: فصادفتُه ومعه ميسم[1]، فلما رآني قال: «**لَعَلَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَلَدَتْ**» قلت: نعم، فوضع الميسم، قال وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله

(١) وهناك نهي عن وسم الدواب في وجهها، وإنما في أرجلها وفي أفخاذها.

ﷺ بعجوة من عجوة المدينة[١]. فَلاكَهَا في فِيهِ حتى ذابت، ثم قذفها فِي فِي الصَّبِيِّ[٢]. فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى حُبِّ الأَنْصَارِ لِلتَّمْرِ**» قال: فمسح وجهه وسماه عبدالله»[٣].

وضع النبي ﷺ عجوة في فمه الشريف، ولاكها ﷺ حتى ذابت، ثم قذفها في فم الصبي، فأخذ يتلمظ هذا الطعم الحلو للتمر، وهذا حب الأنصار

(١) جاء في «صحيح مسلم» من طريق بن أبي مليكة، عن عائشة بلفظ: «**فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءٌ**» -عالية المدينة- وجاء أيضا في الصحيح: «**مَنِ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ، لَمْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ الْيَوْم سُمٌّ وَلا سِحْرٌ**».

(٢) هذا هو التحنيك، فحنكه رسول الله ﷺ، وهذا من أجل بركة ريق الرسول ﷺ، فكان الصحابة رضي الله عنهم يأتون بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ حتى يحنكهم، وهذا خاص بالرسول ﷺ، وقد يظن بعض الناس أن هذا جائز لكل أحد، والأرجح أن هذا خاص بالنبي ﷺ؛ لأنهم يرجون بركته ﷺ، وأما غير النبي ﷺ فلا شك أنه ليس مثله؛ ولذا ما كان التابعون يأتون بأطفالهم إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ، ولا لعمر ولا لعثمان ولا لعلي رضي الله عنهم جميعًا، فهذا خاص به ﷺ، وبركته ﷺ تنتقل، فالتبرك بريقه وبشعره وبثيابه هذا كله خاص بالنبي ﷺ؛ ولذا فالصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يفعلون هذا بغيره ﷺ كما تقدم.

(٣) قال عباية بن رفاعة: رأيت لهذا الولد -عبدالله بن أبي طلحة- سبعة من البنين كلهم قد ختم القرآن الكريم، هذا بعد ما كبر وتزوج أنجب سبعة من البنين كلهم قد ختم القرآن الكريم -نسأل الله من فضله- وهذا ببركة دعاء الرسول ﷺ؛ ولذا فإني أحثكم ونفسي على الدعاء والإكثار منه.

للتمر، كما قال الرسول ﷺ، والأنصار أهل المدينة أهل تمر، وسماه الرسول ﷺ بعبدالله.

أحب الأسماء إلى الله ﷻ:

جاء في «صحيح مسلم»: «**أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى الله عَبْدُ الله وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**»[١] ومثل هذه الأسماء: عبدالعزيز وعبدالكريم، فهذه أحب الأسماء إلى الله ﷻ، ثم بعد ذلك أسماء الأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، مثل: محمد، أحمد، إبراهيم، موسى، عيسى، ونوح، فهذه أسماء جميلة لأنبياء كرام على جميع أنبياء الله الصلاة والسلام.

وبعد أسماء الأنبياء، الأسماء التي لها معان جميلة، مثل: حسن وحسين، قيل: إن الذي سمى أولاد علي بن أبي طالب الحسن والحسين هو الرسول ﷺ، والحسن والحسين من الحسن، والحسن هذا شيء طيب من الجمال، جاء في «صحيح مسلم»: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»[٢]، وأنا أعرف شخصًا سمي

(١) «صحيح مسلم» من حديث عن نافع، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُاللهِ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ**». (٢١٣٢).

(٢) «صحيح مسلم» من حديث إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»: برقم.

بعبد الجميل، والجميل من أسماء الله ﷻ، وهذا أحد أساتذتنا الشيخ قلاع العطري -درسنا بالثانوي- هو نفسه يحدثنا يقول: سميت ولدي مُصْعَبًا فحصل لي صعوبة، ثم سمى سهلًا بعد ذلك من السهل واليسر، فالتسمية بسهل وسهيل من السهولة، وياسر من اليسر، وسلمان من السلامة، فهذه أسماء طيبة، ثم بعد ذلك تأتي الأسماء العادية.

أَسْمَاءٌ مُحَرَّمَةٌ:

يكثر الرافضة من التسمية بالأسماء المحرمة -نعوذ بالله من ذلك- فالشيعة الرافضة يُسَمُّونَ عبدَ الحسين؟ فهل هو عبدالله أم عبد الحسين؟!

يقول الشيخ تقي الدين الهلالي: استأجرت أجيرًا وأنا أذهب إلى البصرة اسمه -والعياذ بالله- عبدُ عليٍّ، فأردت أن اسميه: عبدَالعليِّ -والعلي هو الله ﷻ- واسمه عبدُ عليٍّ يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، -وهذا لا يجوز- فإذا أردتُ أن أناديَه، أناديه: عبدالعليِّ، فيقول: لا، أنا لست عبدَالعليِّ، أنا عبدُ عليٍّ -والعياذ بالله- فهذه الأسماء لا تجوز وهي محرمة.

تجنب هذه الأسماء!

هناك أسماء من الأولى عدم التسمية بها مثل: إهاب، وما معنى الإهاب؟ هو الجلد غير المدبوغ، فبعض الناس يسمي أسماءً ولا يعرف معناها، كمثل بعض الأسماء التي يتسمى بها النسوة يسمون: فاتِن -نعوذ بالله- هل أحد يسمي «فاتن»؟! فهذا غلط.

ما أجملها من أسماء!

حين يسمي المسلم أولاده على أسماء الصحابة والصحابيات، «أسماء» على أسماء بنت عميس، أو على أسماء بنت أبي بكر، سمِّ «خديجة» على اسم أم المؤمنين زوج الرسول ﷺ التي أرسل لها الله ﷻ السلام من سبع سموات، سمِّ «عائشة» على اسم أفقه النساء، سمِّ «سارة» على اسم زوج إبراهيم الخليل عليه السلام، سمِّ «هاجر»، هذه الأسماء الجميلة، أما «فاتن» أو «هلا» أو «حلا» وغيرها من الأسماء التي ربما لا يكون لها معنى، فهذه بعيدة عن الأسماء التي تذكرنا الصحابيات الجليلات رضي الله تعالى عنهن.

من شجاعة أم سليم:

نعود إلى الحديث عن أم سليم رضي الله عنها، وسأذكر لك هنا موقفين يدلان على شجاعة أم سليم، وسوف أجمع بين هذين الموقفين؛ لأنهما يدلان على شجاعة هذه المرأة الصحابية الجليلة.

الموقف الأول: يتعلق بالشجاعة الأدبية المعنوية.

الموقف الثاني: يتعلق بالشجاعة الحسية التي ترجع إلى قوة القلب.

وقبل أن أتكلم عن الموقف الذي يتعلق بالأمر الأول، أذكر قول الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[1]، فهذه الآية في

(١) سورة الفرقان، الآية (٥٢).

سورة الفرقان، وهي سورة مكية نزلت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، أي قبل أن يفرض القتال، وتعلمون أنه لم يكن بمكة جهاد بالسيف والسنان، وإنما فرض الجهاد بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ومع ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ فهذا جهاد الحجة والبيان؛ لأن الجهاد -كما لا يخفى على مثلك- نوعان:

النوع الأول: جهاد الحجة والبيان.

النوع الثاني: جهاد السيف والسنان.

وجهاد السيف والسنان معلوم، أما جهاد الحجة والبيان فهذا من خلال نصرة الإسلام بالقول والرد على المنافقين، وعلى أصحاب البدع والضلال، وقد يكون تأثير هذا تأثيرًا كبيرًا، بل إن جهاد الحجة والبيان قبل جهاد السيف والسنان ومقدم عليه؛ ولهذا كان نبيكم ﷺ إذا أرسل رسولًا يقول له: «**فلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» (١). وجاء في «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد، وحديث سلمة بن الأكوع، عندما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليهود بخيبر، أعطاه الراية

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (٢١) من حديث يحيى بن صيفي، عن أبي معبج مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال: «**أَنْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتىَّ إِذَا نَزَلْتَ بِسَاحَتِهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ**»[١]. فهذا جهاد الحجة والبيان، أول شيء تدعوهم إلى الإسلام، لأن المقصود من مشروعية القتال إنما هو:

أولًا: الدفاع عن المسلمين من اعتداء المعتدين وظلم الظالمين.

ثانيًا: نشر دين الله؛ لأن هناك من يكون حاجزًا ومانعًا من نشر الدين؛ فلابد من إزالة هؤلاء الذين يحجزون الناس عن الدخول في الإسلام؛ ولذا عندما فتحت الجزيرة العربية، فتحها الله ﷻ لنبيه، وبعد ذلك فتحت العراق، والشام، وبلاد فارس، ومصر، والمغرب العربي إلى آخره في عهد الخلفاء رضي الله عنهم انتشر الإسلام.

أما عن مواقف أم سليم التي تتعلق بالشجاعة الأدبية المعنوية:

جاء في «الصحيحين» من حديث زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة، وزينب هي ربيبة الرسول ﷺ أي تربت في حجر أم سلمة؛ فعندما تأيمت أم سلمة رضي الله عنها بعد أن توفي زوجها استرجعت، وقالت: «**اللَّهُمَّ آجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا**»[٢].

---

(١) حديث سهل عند البخاري، كتاب المغازي باب: غزوة خيبر (٤٢١٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٢٤٠٦). وحديث سلمة بن الأكوع عند البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٤٤٠٧)، وجاء من حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم (٢٤٠٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١٨) من حديث ابن سفينة، عن أم سلمة؛ أنها قالت:

وهذا هو المشروع للإنسان عندما تحصل له مصيبة، وقد قال الرسول ﷺ: «**إِلا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، وبعد أن قالت أم سلمة هذا الدعاء العظيم، قالت: ومن خير من أبي سلمة؟ فهل قولها هذا تشكك منها؟ أم أنها مستيقنة وتنتظر من هو خير من أبي سلمة؟ إنها تنتظر من هو خير من أبي سلمة، فالشخص ابتداءً يظن أن أم سلمة متشككة، فمن يأتيها خير من أبي سلمة الذي كان من السابقين في الهجرة، ولقي من العنت والشدة الشيء الكثير، وأراد أن يهاجر مع زوجته فمُنِعت زوجتُه وأُخِذَ ابنُه، وظلت أم سلمة سنة كاملة تبكي، حتى جاءها الفرج، ودعا له النبي ﷺ عندما توفي، فعندما قالت هذا الدعاء أخلفها الله ﷻ خيرًا من أبي سلمة، وهو سيد البشر رسول الله ﷺ، فرُبِّيتْ زينب في حجر الرسول ﷺ، وكانت أم سلمة عندها أولاد منهم زينب، ولها ذكر في الأحاديث، كثيرًا ما تروي عن أمها، وهي صحابية، وكانت صغيرة في عهد الرسول ﷺ، ومن أبنائها عمر بن أبي سلمة.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا -إِلا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ. ثم إني قلتها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ، قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له. فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور. فقال: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا. وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُذْهِبَ بِالْغَيْرَةِ**».

هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟

روت زينب بنت أم سلمة هذه التي سبقت الإشارة إليها، عن أمها أم سلمة -كما في «الصحيحين»[١]- قالت: جاءت أم سليم[٢]امرأة أبي طلحة للرسول ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت[٣]؟ فقال ﷺ: «**نَعَمْ إِذَا رَأَتِ المَاءَ**». فقالت

---

(١) «صحيح البخاري» كتب الغسل باب: إذا احتلمت المرأة برقم (٢٧٨) من حديث مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة أم المؤمنين. وصحيح مسلم كتاب الحيض (٣١٣) من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن زينب به.

(٢) انظر لم تقل: جاءت امرأة من النساء، وإنما قالت جاءت أم سليم، وهذا يدل على مكانة أم سليم؛ لأنها قالت شيئًا عظيمًا ليس بالسهل، يدل على شجاعتها الأدبية المعنوية.

(٣) هذا سؤال من امرأة وتسأل الرسول ﷺ، وانظر إلى عمرو بن العاص الذي كان يقال عنه: أرطبون العرب أي داهية رضي الله عنه، والدهاء على قسمين: دهاء على خبث -والعياذ بالله-، ودهاء على ذكاء وخير وفضل مثل عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقيل: إنه عندما اجتمع مع الروم في فتح مصر، وكانوا يدبرون له مكيدة، إذا خرج يرمون عليه حجرًا حتى يموت، فرجع وقال للقائد: سوف آتي بعشرة لهم مكانة عند أمير المؤمنين، فأشار زعيمهم أن اتركوه، نقتل عشرة أفضل من أن نقتل واحدًا، فيقولون: إن عمرو بن العاص قد خدعه بهذا، والرسول ﷺ يقول: «**الحَرْبُ خُدْعَةٌ**»، ومع هذا فقد كان عمرو بن العاص يقول: ما كنت أُحِدُّ النَّظَرَ إلى رسول الله ﷺ هيبةً له، ولو طلب مني أن أصفه لما استطعت أن أصفه. أي هيبة للرسول ﷺ، وانظر إلى أم سليم جاءت إلى

بعض النساء -وفي رواية أنها عائشة- وهل المرأة تحتلم؟ وفي رواية: لقد فضحت النساء يا أم سليم، وفي رواية في الصحيح: تربت يمينك؟ فقال ﷺ: «**بَلْ أَنْتِ تَرِبَتْ يَمِينُكِ**». أي لا تنكري على أم سليم هذا السؤال، فهي تسأل عن دينها، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها عن نساء الأنصار: ما كان يمنعهن الحياء عن السؤال عن دينهن، ولذا لا حياء في الدين، لا بد أن نتعلمه.

وانظر إلى حسن تلطفها، فلم تُلْقِ هذا السؤال مباشرة، وإنما قدمت بمقدمة، والإنسان عندما يقدم بمقدمة لشيء مهم قد يكون وقْعُ هذا الشيء المهم على المقابل أخف خاصة إذا كان مصيبة، ويجعله ينتبه، فلو قالت أم سليم مباشرة: هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ لربما كان رد فعل النساء الحاضرين أشدَّ؛ ولذا بعد هذه المقدمة قيل لها: لقد فضحت النساء، وبعضهن قلن لأم سليم: تربت يمينك، فتقديمها للسؤال يدل على حسن رأيها وعقلها، ويجيبها النبي ﷺ: «**نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**»؛ ولذا فالإنسان إذا احتلم ولم يَرَ الماءَ فلا يجب عليه الاغتسال سواء كان رجلًا أو امرأة، فهذا نص الحديث وهو في الصحيحين، فالغسل لا يجب حتى يرى الإنسان آثار الماء أي المني سواء من الرجل أو المرأة.

إذا دنا مني أحد المشركين بقرت بطنه!!

الرسول ﷺ، وعنده بعض النساء؛ ولذا نقلت أم سلمة الخبر.

الموقف الثاني: الذي يدل على شجاعتها الحسية، ما رواه مسلم (١٨٠٩) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ خِنْجَرًا يَوْمَ حُنَيْنٍ، عندما أرادت الخروج للغزو، وأنتم تعرفون أن الغزو فيما سبق ليس كما هو الآن، صحيح أن التدميرَ الآن أشد، لكنَّ قوةَ القلب يحتاج إليه الإنسانُ فيما سبق أكثرَ من الآن؛ حيث كانوا يتواجهون وجهًا لوجهٍ بالسيوف، وهذا أشد من أن يرمي الإنسان من بعيد.

وانظر إلى ابن تيمية رحمه الله عندما جاء التتار للشام، فكان يقول للسلطان ولكبار القادة: اثبتوا فأنتم منصورون. فيقولون: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، فهل يعلم الغيب؟ لا؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا رب العالمين جل وعلا، فيقول هذا إما لرؤيته بشارة بالنصرة فيما يرى النائم، أو رأى أن المسلمين قد أقبلوا على الله، ويريدون نصرة دين الله، وتوجهوا إلى الله، ومن كان هذا حاله ينصره الله عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]، حق أوجبه الله عز وجل على نفسه، فهذه الكلمات ثبتت السلطان وكبار القادة بإذن الله.

وقال ابن تيمية لأحد كبار القادة: أوقفني موقف الموت، فلم يقل: أوقفني موقف النجاة حتى أنجو، بل قال: أوقفني موقف الموت، فقال له: هذا موقف

---

(١) سورة الروم، الآية (٤٧).

الموت، التتار ألوف مؤلفة ...أقبلوا بخيلهم ورجلهم ... الغبار ثائر... وسيوفهم تلمع من تحت الغبار... هذا موقف الموت، و قلب ابن تيمية قوي بالإيمان، ها هو يرفع يديه ويطيل في الدعاء، الآن وسيوف التتار تلمع، وهو يدعو الله ﷻ، ثم قال القائد: ثم حال بيني وبينه القتال، وبحمد الله أنزل الله النصر على المسلمين، وذهب القائد باحثًا عن ابن تيمية، فإذا هو مع أخيه فبشره بالنصر، والشاهد من هذا قوة القلب وتعلقه بالله، والسيوف تلمع.

وها هي أم سليم -كما في «صحيح مسلم» (١٨٠٩)- تغزو مع رسول الله ﷺ، تخرج لغزوة حنين ومعها خنجر، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُوْلَ الله! هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ. فَقَالَتْ: يَا رَسُوْلَ الله، إِنْ دَنَا مِنِّي مُشْرِكٌ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فيا لشجاعتها وقوة كلامها، وهذه القصة قد يأخذ منها بعض الناس فوائد عظيمة ولا شك، لكن بعض الناس يريد أن يأخذ منها بزعمه أشياء يريد بها الشر والفساد، ولا يريد بها الخير والصلاح؛ فنقول له:

على رسلك!!يا من تقول: اسمحوا للمرأة في الجندية، والاختلاط بالرجال، ليعملن مع الرجال.

على رسلك!!يا من تدعو إلى أن تتولى المرأة رئاسة الدولة، أو تكون وزيرة أو نائبة وزير.

على رسلك!!يا من تقول: لماذا تمنعونهن وهذه أم سليم قد خرجت؟

فأقول لك ولأمثالك:

على رسلك!! وأول ما أرد به هو مما استدللت به، فقد ذكر ابن تيمية قاعدة: «ما من شخص صاحبِ باطلٍ يستدلُّ بِحَقٍّ إلا وفيها استدل به رَدٌّ عليه»، وهذه قاعدة هامة، فأقول: إذا كنت ستأخذ هذا الموقف من أم سليم وتستدل به على ما تذهب إليه، فخذ باقي المواقف، لماذا تأخذ هذا فقط وتترك موقفها عندما أبت أن تتزوج أبا طلحة إلا بعد أن يسلم، فجعلت مهرها الإسلام؟!

وكذا عندما بادرت هي إلى الإسلام، وكانت تلقن ولدها أنسًا الإسلام وهو صغير، وأتت بولدها للنبي ﷺ ليتعلم، حتى أصبح من كبار العلماء؟!

وروت الحديث عن رسول الله ﷺ وغير هذا؟! فلماذا تأخذ هذا الشيء وتترك الباقي، مثل من يجعل شعره إلى شحمة أذنيه، وهذا ليس فيه بأس، إلا إذا كان له مقصد سيء، ويقول فعل الرسول ﷺ ذلك، وهذا حق، نعم فعل ذلك، لكن تأخذ هذا فقط وتترك الباقي؟ إذا لماذا لا تتبع سنة الرسول ﷺ في لجوئه إلى ربه، وتعلقه بخالقه ومولاه، وتصلي كما كان يصلي ﷺ، وتحج كما حج ﷺ، وتعفي لحيتك، ولا تسبل ثوبك، وتتخلق بأخلاقه، وتتأدب بآدابه؟! لكن تأخذ الشيء الذي تريده لهوى في نفسك ليس لحق، وتترك الباقي.

الأمر الثاني: ضم هذا النص إلى غيره من النصوص؛ لأن النصوص بعضها يفسر بعضًا، فلو جاء شخص وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾، نقول: هذا حق ولا شك، لكن أكمل الباقي: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾[1]، فلماذا تأخذ كلمة أو كلمتين أو جملة، وتترك ما يفسر هذه الجملة؟! فأنت إذا أخذت نصًّا فخذ باقي النصوص التي تفسر هذا النص.

فأم سليم لم تكن تخرج بمفردها للغزو، بل كانت تخرج مع زوجها أبي طلحة، حيث كان يغزو معها رضي الله عنها. والكلام يطول في هذا لكن أذكر بعض الأدلة على تحريم الاختلاط:

من هذه الأدلة: الصلاة وهي أعظم أركان الإسلام بعد التوحيد، ومع ذلك ماذا قال ﷺ؟ قال: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**»[2] لماذا؟ وهم الآن في مسجد وفي صلاة فريضة، ومع ذلك يقول ﷺ: «**وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**»، وهم في الصلاة، فكلما كانت المرأة أبعد عن الرجل كان هذا أستر وأحفظ لها، مع أن المرأة تخرج لعبادة عظيمة وهي الصلاة، ومع ذلك قال ﷺ: «**بُيُوتُهُنَّ**

---

(١) سورة الماعون، الآيات (٤ - ٧).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الصلاة (٤٤٠).

خَيْرٌ لَهُنَّ»(١) قال هذا الكلام في المدينة النبوية، والصلاة في مسجد المدينة عن ألف صلاة، ومع ذلك فصلاة المرأة في بيتها أفضل لها ولو كان في المسجد الحرام.

ولو أن امرأة من أهل مكة سألت: هل الأفضل أن أصلي بالمسجد الحرام أم الأفضل أن أصلي في بيتي؟ نقول: الأفضل أن تصلي في بيتكِ؛ لأن هذا كلام الرسول ﷺ؛ ولذا قال ربنا ﷻ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾(٢).

الخلخال!

ما دمنا قد ذكرنا تبرج الجاهلية الأولى، فلماذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(٣)،وما هذه الزينة؟ إنها زينة الخلخال، حيث كانت النساء في ما سبق يلبسن الخلاخيل، فإذا ضربت برجلها يكون الصوت واضحا، وهذا يؤدي إلى فتنة الرجال، فإذا كان الله ﷻ ينهى المرأة أن تضرب برجلها، حتى لا يسمع صوت الخلخال لئلا تفتن الرجال، فكيف بعد

---

(١) «مسند أحمد»: (٥٤٦٨)، «سنن أبي داود» (٥٦٧)، «صحيح ابن خزيمة» (١٦٨٣)، «المستدرك»: (٧٥٥).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٣) سورة النور، الآية (٣١).

هذا تكون المرأة رئيسة، أو تجلس مع الرجل، وتتجاذب أطراف الحديث، وما يترتب على ذلك من مفاسد لا تخفى على أحد، من الوقوع في الفاحشة والفجور -نعوذ بالله من ذلك-، كما هو موجود في بلاد الكفار.

القوامة!

بعض المنافقين والملحدين يتكلمون على القوامة، والله ﷻ يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[(١)]، فيقولون: لماذا يكون الرجل قيما على المرأة؟ لماذا لا نعطي المرأة حريتها؟ لماذا يكون الرجل هو السيد في بيته؟ فنقول: يا جاهل، كل مجموعة تحتاج إلى قائد أو أمير، والرسول ﷺ يقول كما في حديث نافع عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»[(٢)] حتى لا يقع التنازع بينهم، فإذا لم يكن لهم قائد قد يقع النزاع والشجار، وقد يحدث بينهم من الشر ما يحدث.

فالإسلام ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا ودلنا على الخير فيها، وقد يقول شخص: هذا السفر شيء جزئي، نقول له: لقد علمنا الرسول ﷺ كيف ننضبط؟ وكيف نتعاون؟ وكيف نتحد؟ وكيف نكون يدًا واحدةً؟ ولذا قال

---

(١) سورة النساء، الآية (٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد باب: في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم. برقم (٢٦٠٨)، (٢٦٠٩) بلفظ: «**إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ**...»، والبيهقي في الكبرى، كتاب جماع أبواب آداب السفر باب: القوم يؤمرون أحدهم إذا سافروا برقم (١٠٣٥١).

ﷺ كما في «الصحيحين» من حديث النعمان بن بشير: «**مَثَلُ الْمؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(١)، ألا ترى أن ظفرك حين يؤلمك -عافاك الله- آلمك جسمك كله؟ فهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون.

المملكة الصغيرة في حاجة لقائد:

إن البيت مملكة صغيرة تحتاج إلى قائد، وهذه المملكة الصغيرة هي لبنة في المجتمع، فإذا فسدت هذه اللبنة فسد المجتمع، كمثل الحائط الذي فيه لبنة ضعيفة غير قوية ربما يسقط الحائط، فالمجتمع يتكون من لبنات، فإذا كانت هذه اللبنات فيها ما فيها يسقط البناء.

لماذا لا تتزوج المرأة من غير ولي؟

الأمر الثاني: أنهم يقولون: لماذا لا تتزوج المرأة من غير ولي؟ ولماذا لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم؟

فنقول جوابًا عن هذا: إن المقصود من هذه الأوامر هو أن تكون الروابط والعلاقات قويةً بين أفراد المجتمع، وهذا ما يمتاز به المجتمع الإسلامي عن باقي المجتمعات، ولعلك تقرأ تلك الحادثة التي قد حدثني بها أحد الإخوة

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الآداب، باب: رحمة الناس والبهائم برقم (٦٠١١) ولفظه: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي** ...»، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٢٥٨٦).

عن شاب في إحدى بلاد الغرب، حيث جاء هذا الشاب من السفر بعد سنوات غاب فيها عن أهله، فعندما جاء إلى أهله، لم يقابلوه بتلك الحفاوة والحرارة التي تكون عندنا، وما كان من أمه التي غاب عنها ابنها تلك السنوات إلا أن قالت له: لقد تناولنا عشاءنا، فهل نعد لك عشاء إذا أردت؟!!

ولو أن هذا الأمر حدث عندنا نحن المسلمين، لكانت الذبائح والاجتماعات، ودموع الفرح بلقاء الابن الغائب عن أبيه وأمه تلك السنوات، لكنَّ سببَ هذا عند الغرب هو ضعف العلاقات، حتى إن الآباء إذا كبروا فمقرهم دور العجزة؛ لأن أولادهم كل في حاله، ولا يأتون لأمهم إلا في المناسبات، كما يسمونه يوم «عيد» ميلادها، فيأتي لها ببعض الورد في السنة مرة؛ ولذا فَهُم كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾[1].

حقوق المرأة بين الحقيقة والادعاء:

ما أكثر ما نسمع تلك المقولة: حقوق المرأة، وما أكثر المؤتمرات التي تعقد لمناقشة هذه القضية، كالمؤتمرات التي عقدت في مكسيكو، وكوبنهاجن، وبكين، والقاهرة، ومؤتمرات تحرير المرأة، وحرية المرأة، وحقوق المرأة، كل

(١) سورة النساء، الآية (٨٩).

هذا من أجل أن يسقطوا المرأة، حتى وصل الأمر بهم -والعياذ بالله- أنهم قالوا: لا تقولوا ذكرًا وأنثى، وإنما قولوا: «الجندر».

الجِندر!!

هو مصطلح جديد لا يعرف في اللغات الأخرى، والجِندر يعنون به النوع ذكرًا كان أو أنثى، أي نوع الإنسان، يريدون أن يلغوا مسألة النوع: الذكر والأنثى حتى يبيحون -والعياذ بالله- ما يسمى بالعلاقة المثلية رجل مع رجل، وامرأة مع امرأة، والشخص يستحي أن يذكر مثل هذا الكلام، يزعمون -كذبوا- أن هذه حرية، وهذه قوانين وضعوها، يقولون: لا بأس الرجل مع الرجل، ويأتون كنيستهم، ويعقد لهم القسيس ـ الذي هو مثلهم وأردى ـ عقدًا بين رجل ورجل، وهذه واللهِ بهيمية حيوانية، بل والله هم أردى من الحيوانات، فالحيوانات يذهب الذكر فيها للأنثى، لا يذهب للذكر مثله، فهؤلاء أردى من الحيوانات، وكما قال الله ﷻ: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾[1].

ولذا يتكلمون دائمًا عن حقوق المرأة، أو حرية المرأة، ويثيرون أن المرأة في بلاد المسلمين مهانة، وأنها لا تسافر إلا مع ذي محرم، فلماذا لا تسافر إلا مع ذي محرم؟ حتى يحفظها ويحافظ عليها، ويتولى رعايتها ويدافع عنها، وقد جاء

(١) سورة النساء، الآية (٨٩).

من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلاثَةُ رَكْبٌ**»[١] وهؤلاء رجال؛ لأنهم كانوا في ما سبق إذا سافر الإنسان بمفرده فيحتمل احتمالًا كبيرًا أن يتعرض للهلاك، وكذلك إذا كانوا اثنين أو ثلاثة إلا في أمور خاصة أو حالات خاصة.

متى يجوز للمرأة أن تطوف وهي حائض؟

لابن تيمية رحمه الله بحث مطول مشهور ذهب إلى أنه يجوز للمرأة أن تطوف وهي حائض إذا اضطرت، والرسول ﷺ يقول لعائشة رضي الله عنها: «**افْعَلِي كَمَا يَفْعَلُ الحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي**»[٢]، فكيف يقول ابن تيمية هذا الكلام؟ ومعاذ الله أن يَرُدَّ ابنُ تيمية كلامَ رسولِ الله ﷺ وإنما قال ابن تيمية: إذا اضطرت؛ لأن الناس كانوا يأتون في قوافل، ويتعرضون للأخطار، فلم يكن الأمر كما عليه الآن، فلله الحمد تيسرت السبل لبيت الله الحرام،

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»، كتاب الجهاد، باب: في الرجل يسافر وحده (٢٦٠٧)، ورواه الترمذي في أبواب الجهاد، باب: ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده (١٦٧٤).

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب: تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، وإذا سعى على غير وضوء بين الصفا والمروة (١٦٥٠). ومسلم، كتاب الحج (١٢١١).

يذهب من يذهب بسيارته، فالمحطات على الطريق منتشرة، والنقاط الأمنية في كل مكان، الناس يذهبون ويأتون، فالحمد لله على هذه النعمة، حتى لا يكاد يشعر المسافر أنه فارق المدينة، وهذا من نعمة الله جل وعلا.

فلم يكن فيما سبق باستطاعة الرجل أن يحج مع زوجته بمفردهما، وإنما كانوا يأتون في قوافل، فإذا كانت المرأة حائضًا وطال بها الحيض، والقافلة ستسير، لا يستطيع هذا الرجل أن يتأخر مع زوجته أو ابنته أو أخته أو والدته، والقافلة قد استعدت للرحيل، لا يمكنهم أن ينتظروها حتى تطهر، ثم تطوف، فذهب ابن تيمة إلى جواز طوافها وهي حائض، حتى لا تتأخر بمحرمها عن القافلة فيتعرضون للخطر، وخشية الهلكة إلا أن يشاء الله، وهذا حفاظًا على المرأة وصيانة لها.

بل إنَّ الأولى في حقِّ الرجال -مع كثرة المحطات وتيسر الأمور بحمد الله- ألا يسافر الرجل بمفرده، وقد جاء في الحديث عن عاصم ابن محمد، عن أبيه، عن ابن عمر أن النبي ﷺ: «**نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ: أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ، أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ**»[1]؛ لأن الإنسان إذا كان في البيت وحده قد يصيبه أحيانًا وحشة، وبعض الناس لا يجلسون وحدهم، وهذا شيء حسن لا بأس به.

لا تجلس وحدك:

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥٦٥٠).

لا تجلس وحدك؛ لأن رسولك ﷺ «**نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ**»، فقد تتسلط الشياطين عليك إذا كنت بمفردك؛ لأن الشيطان يتسلط على الإنسان في حالات منها حالة الخوف الشديد، فنهى عن الوحدة، حتى يكون المجتمع مترابطًا متماسكًا، ولو أن رجلًا الآن عمره خمسين أو ستين سنة، وقالت له والدته: لا تسافر أو لا تذهب لمكان كذا، أو لا تفعل كذا، فيجب عليه أن يطيعها، إذا كان أمرًا مباحًا ولا يتعلق بالدين وليس فيه ضرر عليه، حتى إن شيخنا عبد الرحمن البراك -حفظه الله- قالت له والدته رَحِمَهَاٱللَّهُ -وقد توفيت قبل سنوات يسيرة- قالت له قبل نحو عشر سنوات: لا تذهب للحج، فما ذهب -حفظه الله- رغم أن في ذهابه للحج منفعةً عظيمةً، حيث يوجه الناس ويعلمهم، فطاعة النبي أولى.

فالنهي عن الوحدة، يقابله الأمر بمخالطة الناس والاجتماع معهم، وهذا يؤدي إلى قوة العلاقة وتقوية الروابط والصلة والإخوة والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع، وقد حث النبي ﷺ على الجار فقال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»[1]، «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**». قيل:

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٥٦٧٢)، من حديث الليث عن سعيد المقبري عن أبي شريح العدوي. ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان (٤٧) من طريق ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة.

ومن يا رسول الله؟ قال: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[١]. أي دواهيه، «**مَا زَال جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[٢].

بل أكثر من الجار، الشخص الغريب إذا نزل في إحدى القرى أو المدن خاصة فيما سبق، لا بد من أن يضيفوه، فهذه علاقات طيبة، ومن حسن الأخلاق، ومن الآداب العظيمة المطلوبة التي تقوي المجتمع، وتجعله متماسكًا مترابطًا، فهذا مما نحن بحاجة شديدة إليه، هذا التماسك والترابط بين المجتمع إذا استثمر في الخير، فإنه سوف يحقق بإذن الله أعلى الثمار والمراتب والدرجات العظيمة.

قصة عجيبة:

سوف أذكر لك قصة قصيرة، لكنها ذات دلالات كبيرة، وقد وقعت في عهد النبوة، ولها علاقة بأم سليم رضي الله عنها، وجاءت في أصح الكتب بعد كتاب الله جلا وعلا، فهي ثابتة في الصحيح، وقد أكثر الإمام مسلم من سوق أسانيد

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب: إثم من لم يأمن جاره بوائقه، برقم (٦٠١٦) من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبي شريح. ومسلم في كتاب الإيمان (٤٦) من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، ولفظه: «**لَا يَدْخُلُ الجُنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»، كتاب الأدب، باب: الوصاة بالجار، برقم (٦٠١٥) من حديث عمر بن محمد عن أبيه عن ابن عمر، ومسلم في «الصحيح»، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٢٥).

هذه القصة، وبدأ بأصح الأسانيد، فقال: حدثني يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة[١] أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصًا من شعير، ثم أخذت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ**»؟ قال فقلت: نعم. قال:«**أَلِطعَامٍ**»؟ فقلت: نعم فقال رسول الله ﷺ لمن معه:«**قُومُوا**»، قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ:«**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ**»، فأتت

(١) عبدالله بن أبي طلحة: عندما قال ﷺ لأبي طلحة: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا**» حملت أم سليم وأتت بابن سماه رسول الله: عبدَالله، وهذا الولد قال ابن رفاعة: رأيت له سبعة أولاد كلهم ختم القرآن، وفي رواية عشرة أولاد، فمنهم -والله أعلم- إسحاق وهو من مشاهير أبناء عبدالله، ومن أهل العلم والفضل، وأم سليم جدته، خرَّج له الشيخان وأصحاب السنن.

بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وعَصَرَتْ عليه أم سليم عَكَّةً لها فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ بِالدُّخُولِ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**»، حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلًا أو ثمانون رجلًا[1].

فانظروا كيف حزن أبو طلحة حين شعر بجوع النبي ﷺ، قد وجد ذلك من ضعف صوته، يتجه مسرعًا نحو البيت: يا أم سليم، ما عندك؟ قد رأيت الجوع في وجه النبي ﷺ، وعلى الفور تخرج أم سليم أقراصًا من شعير، ليس عندها غيرها، وعكة سمن، ترسل بها على وجه السرعة ابنها أنسًا إلى سيد الخلق، الذي كان يربط الحجر على بطنه أحيانًا من شدة الجوع.

يصل أنس إلى المسجد، بعد أن طوى الطريق طيًّا، ويقبل على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ**»؟ قال أنس: نعم. قال: «**أَلِطعَامٍ**»؟قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قُومُوا**»، قال أنس: فانطلق وانطلقت بين

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأطعمة، باب: من أكل حتى شبع (٥٣٨١). ومسلم، كتاب الأشربة (٢٠٤٠).

أيديهم، أسرع أنس يخبر زوج أمه أبا طلحة بالأمر، النبي ومن معه في المسجد في الطريق إلى بيت أم سليم، ماذا عساهم أن يصنعون، وما هي إلا أقراص من شعير وعكة سمن.

هنا أصاب أبا طلحة ما يصيب أي إنسان من الحرج، كيف لهذا العدد أن يجلس على مائدة، هذا هو زادها؟! فيخبر مسرعًا زوجته: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، وإذا بصاحبة القلب العامر، الذي امتلأ يقينا وإيمانا، و بأمر رسول الله تسليمًا وإذعانًا، فينطق لسان المقال: الله ورسوله أعلم. مُعْلِنًا التسليمَ والإذعان، والقبول والإيمان، ولسان الحال: لا عليك أبا طلحة، فهو أعلم. هو المعصوم من قبل ربك جل وعلا.

هكذا ينبغي على كل مسلم ومسلمة، التسليم لأوامر الله، لا يردها بتأويل أو تحريف، بل يقبل كلام الله جل وعلا، وكلام رسوله ﷺ، ولسانه يصدق قلبه: سمعنا وأطعنا، فما أجمل الانقياد لأمر الله ورسوله!

فينزل كلام أم سليم على قلب أبي طلحة باليقين والاطمئنان، والتسليم والإذعان.

ها هو النبي ومن معه أمام البيت، عددهم ما بين السبعين إلى الثمانين، استقبل أبو طلحة رسولَ الله ﷺ وضيوفه، ثم قال النبي ﷺ لأم سليم:

«**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ**»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وعَصَرَتْ عليه أم سليم عَكَّةً من سمن لها، فوضعت السمن على أقراص الشعير وفتته، فدعا ﷺ بالبركة، كما جاء في روايات أخرى ليست في رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة.

يأمر رسول الله ﷺ أن يدخل عشرة عشرة، فدخل عشرة، وأكلوا وشبعوا وخرجوا، فدخل عشرة ثانية وثالثة، وهكذا فهم من سبعين إلى ثمانين، شك الراوي بين سبعين وثمانين رجلًا، وبقيت بقية من الطعام، وفي رواية: «**أطعموا الجيران**».

في هذه القصة دلالات عظيمة، وفوائد جسيمة، على رأسها –كما تقدم –:

أولًا: التسليم لأمر الله ورسوله.

ثانيًا: البركة التي جعلها الله ﷻ في أم سليم.

ثالثًا: حسن رأي أم سليم، والإنسان محتاج إلى الرأي السديد والقول الصائب؛ وقد يحصل للإنسان صواب الرأي بالمشورة، قال لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[1].

لقد ذكرت لك من قبل أن أم سليم هي السبب في إسلام أبي طلحة، فالخير الذي حصل لأبي طلحة كان سببه أم سليم، وتقدم لنا أيضًا أن الخير الذي

(١) سورة آل عمرا، الآية (١٥٩).

حصل لأنس كان سببه أم سليم، وهكذا يجب أن تكون المرأة معينة لزوجها على الخير والهدى، وليس العكس، وليست المرأة فقط، بل الرجل يجب أن يكون معينا لامرأته على الخير والهدى، بل يكون الولد معينا لوالديه على الخير والهدى.

رابعًا: في هذه القصة بركة الرسول ﷺ، والآيات التي أجراها الله جل وعلا على يديه، فهذه آية، فالطعام اليسير الذي كفى هذا الجمع الكبير، لا شك آية أجراها الله جل وعلا على يدي رسول الله ﷺ، والمعجزات التي أيد الله بها رسوله كثيرة جدًّا، وعلى رأسها كتاب الله جل وعلا.

وقد جاء في «مسند الإمام أحمد» من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ**»، **قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»**[(١)].

وهذا من معجزاته ﷺ فهو الذي لا ينطق عن الهوى، فالأسواق تقاربت، حتى إن الإنسان -وهو في بيته- يبيع ويشتري، من مختلف قارات العالم، وهو ﷺ لا يعلم الغيب، إنما يتكلم بما أخبره الله ﷻ، قال تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ**

(١) «مسند أحمد» (١٠٧٢٤).

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[1]، فالرسول ﷺ لا يعلم الغيب: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2]، فمعجزات الرسول ﷺ كثيرة يجب على الإنسان أن يطلع عليها؛ لأنها تقوي الإيمان واليقين في قلب الإنسان، ويزداد الإنسان إيمانا.

خامسًا: في هذه القصة، بعض من آداب الضيافة.

والحقيقة أن القصص التي وقعت في عهد رسول الله كثيرة، ولكن أين النفوس والقلوب الحية التي تعتبر وتستفيد من هذه القصص؟!.

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه زوج أم سليم:

سبق القول أن أبا طلحة أراد أن يخطب أم سليم بعد وفاة زوجها الأول مالك -الذي مات على الشرك مقتولًا- فرفضت أم سليم الزواج إلا بعد أخذ أغلى مهر في التاريخ، ذلكم هو الإسلام -دين الله رب العالمين- وقد ناقشته ودعته للإسلام مبينةً له بطلان الشرك، وأنه كيف للعقلاء أن يعبدوا خشبة نشرها نجار عبد بني فلان، أو ما نحته عبد بني فلان، ثم شرح الله صدر أبي طلحة للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه.

عجبًا لهذا الدين!!

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٨).

(٢) سورة النمل، الآية (٦٥).

وها هو ذا رضي الله عنه بعد إسلامه يمتاز بثلاث ميزات، كلها ميزات عظيمة وكبيرة.

أولها: أنه كان من المجاهدين في سبيل الله جل وعلا.

ثانيها: أنه كان رضي الله عنه من العباد، فجمع ما بين الجهاد والعبادة.

ثالثها: أنه كان من المتصدقين.

ولعلي أبدأ بالأمر الأخير، وهو ما يتعلق بالصدقة: فقد جاء في «الصحيحين» صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم، من حديث مالك، عن إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿**لَن تَنَالُوا۟ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَۚ**﴾[1]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٢).

ومعنى الآية أن الإنسان لا يحصل على درجة الأبرار حتى ينفق مما يحب، فالنفقة في سبيل الله على قسمين: **الأول**: أن تنفق من عرض مالك، فهذه نفقة عادية، وهذه عبادة عظيمة لا شك.

الثاني: أن تنفق مما تحب من مالك، وهذا أعظم من القسم الأول؛ لأن الأموال محبوبة،

الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(١).

فجعلها رضي الله عنه في الأقربين، وكان منهم أُبَيٌّ بن كعب، وحسان بن ثابت، وكان أنس - راوي الحديث- من أقرب الناس إلى أبي طلحة، فهو ابن زوجته وربيبه، ولم يعطه منها شيئًا، ربما لأن أبا طلحة يتولى الإنفاق عليه، فأراد أن يبعدها عن نفسه وعن أهله الأقربين؛ ولذا قال للرسول ﷺ: ضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». هذا فيما يتعلق بالصدقة، وأنه رضي الله عنه كان من المتصدقين.

الأمر الثاني: **العبادة**: ذُكِرَ أن أبا طلحة الأنصاريَّ سَرَدَ الصومَ بعد وفاة النبي ﷺ أربعين سنة، ما كان يفطر إلا في سفر أو في مرض، ومعلوم أن سرد الصوم بحيث لا يفطر أبدا -صوم الدهر كله- لا يجوز، حتى يفطر في أيام

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠]، فالإنسان لا يصل إلى درجة الأبرار -نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم منهم- حتى يتصدق مما يحب.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (١٤٦١).

الأعياد، فالإسلام نهى عن ذلك، والصوم من أفضل الأعمال، ورسول الله ﷺ يقول: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ عِنْدَ الله. صَوْمُ دَاودَ** -عليه السلام- **كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»[١]. فأبو طلحة الأنصاري كان يكثر من الصوم رضي الله عنه، ولعله كان كذلك.

المسألة الثالثة: وهي الجهاد في سبيل الله: كان أبو طلحة من كبار المجاهدين رضي الله عنه، حتى إنه قد جاء في الحديث الصحيح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن الرسول ﷺ قال: «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ أَشَدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ فِئَةٍ**»[٢]، وجاء في حديث آخر -ولكن فيه ضعف- «**لَصَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ**»[٣]، والأصوات في المعركة قد تزلزل العدو، وكان سماعُ صوتُ السيوف -فيما سبق- أمرًا عظيمًا، كما يسمع الناس الآن صوت المدافع وصوت الرصاص، وما يحدث ذلك من الهلع.

فكان صوت أبي طلحة يزلزل المشركين، لقد قَتَل في حنين عشرين من

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود (٣٤٢٠)، ومسلم، كتاب الصيام (١١٥٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك برقم (١٣١٠٥).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم باب: ذكر مناقب أبي طلحة زيد ابن سهل الأنصاري رضي الله عنه (٥٥٠٣).

الكفار وأخذ أسلابهم، فهو من كبار المجاهدين، وقد قال النبي ﷺ «**صَوْتُ أَبِي طَلْحَةَ فِي الْجَيْشِ أَشَدُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ فِئَةٍ**»[١].

انثر كنانتك لأبي طلحة:

عندما جاء الطلقاء[٢] إلى حنين ليقاتلوا هوازن، ومنهم ثقيف، وكانوا رماة، وكان أبو طلحة رضي الله عنه راميًا، فإذا مر أحد المقاتلين من المسلمين، يقول الرسول ﷺ: «**انْثُرْ كِنَانَتَكَ**[٣] **لأَبِي طَلْحَةَ**»، وكان ﷺ إذا رمى أبو طلحة ينظر أين تقع رميته، وكانت هوازن رماة، فرشقوا المسلمين بالرماح، فهرب من هرب، وبقي الرسول ﷺ وكان أبو طلحة معه، فعندما هرب من هرب قالت أم سليم: اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ، فقال ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ**

---

(١) أخرجه الحميدي (١٢٣٦)، وسعيد بن منصور (٢٨٩٨)، وأحمد (١٢٠٩٥)، والحاكم (٥٥٠٤)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس به.
وجاء عند أحمد (١٣١٠٥) عن يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس به.
ولكن جاء عند ابن أبي شيبة (٣٣٤٢٣) عن يزيد بن هارون، عن حماد، عن ابن جدعان.
وجاء في حديث الثوري (٢٥)، وأحاديث السري ابن حرملة –مخطوط– و«طبقات ابن سعد»: (٣/ ٥٠٥)، وعند الحارث –«المطالب العالية»: (٤٠٢٥)– وأبي الشيخ في «الأمثال»: (١٩٧)، والحاكم (٥٥٠٣)، كلهم من طريق الثوري، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر أو أنس به. ينظر: «مغازي الواقدي»: (١/ ٢٤٣)

(٢) الطلقاء: هم أناس أسلموا من قريش.

(٣) الكنانة: هي الجعبة من السهام، وكان أبو طلحة مع النبي في أُحُدٍ، وقيل: إنه شهد بدرًا وبيعةَ العقبة رضي الله تعالى عنه.

اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»[١].

وكان أبو طلحة يغزو مع النبي ﷺ، وغزا في عهد أبي بكر وعمر حتى توفي، وقد خرج في عهد معاوية، فقال بنوه -وكان كبيرًا في السن-: نحن نكفيك، ونجاهد عنك، فقال: إن الله ﷻ يقول: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٢]، وكان يتأول هذه الآية شيبًا وشبابًا، وأنه وإن كان كبيرًا فإن الله ﷻ يدعوه.

فخرج المجاهد الشجاع أبو طلحة ﷺ، حتى توفي وهو في البحر غازيًا، وهذا من علامات حسن الخاتمة، فقد قبض على عمل صالح -نسأل الله من فضله- فانتظروا حتى يجدوا جزيرة يدفنوه فيها، وكان من يموت في البحر بعيدًا عن جزيرة، يربط بشيء ثقيل ويرمى في اليم، حتى ينزل إلى أسفل القاع، فانتظر من كان مع أبي طلحة ستة أيام، وفي اليوم السابع وجدوا جزيرة فعندما أرادوا أن يدفنوه وجدوه لم يتغير رضي الله عنه.

فأبو طلحة كان من كبار المجاهدين، وتوفي وهو مجاهد في سبيل الله جل وعلا.

الرياضة للبنات!

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: الجهاد والسير (١٨٠٩).

(٢) سورة التوبة، الآية (٤١).

تقدم لنا فيما سبق من قصة أم سليم رضي الله تعالى عنها أنها قالت: «إذا دنا مني مشرك أو كافر بقرت بطنه»، ويستدل ذوو الأغراض السيئة بهذه القصة على جواز الاختلاط، ويدعون إلى مزاحمة المرأة الرجال، وتولي مختلف المناصب، وقد كتبت امرأة في إحدى الصحف تدعو إلى إدخال مادة الرياضة إلى مدارس البنات عندنا، كل ذلك من أجل إفساد المرأة، ثم تدخل في مسابقات الجري كاشفة عن فخذيها وقد تتعرى، وكل ذلك في سبيل الرياضة.

وحجة الكاتبة أن المرأة عندنا سمينة، فلكي تكون رشيقة ندخل مادة الرياضة، حقًّا إنَّ بعض ما يُكتَب لا يساوي ثمن المداد، فقيمة المداد الذي يكتب به أغلى من الكلام والأفكار التي تكتب، فإذا كانت المرأة سمينة فلتدخل المطبخ، وإن لم يكن لها زوج فلتساعد أمها.

تزوجت ولا تعرف كيف تعد كوبًا من الشاي!![1]

هذه امرأة تزوجت، فقال لها زوجها اصنعي لي كوبا من الشاي، فدخلت المطبخ ولم تعرف كيف تعد الشاي، لكن زوجها هذا كان حكيمًا، دخل معها المطبخ، وأخذ يعلمها شيئًا فشيئًا حتى تعلمت، ولو أن واحدًا منا حدث معه هذا، لقال لها: الحقي بأهلك، فالمرأة تدخل المطبخ وتساعد أمها، وإن كانت

---

(١) هذه القصة ذكرها الشيخ صالح بن غانم السدلان حفظه الله.

ذات زوج فتطبخ لزوجها ولأولادها، فهذا يُذْهِبُ السمنة.

أنس رضي الله عنه في البصرة:

سبقت الإشارة إلى أن أنسًا[١] رضي الله عنه أصبح من كبار علماء الصحابة؛ وذلك بفضل ما جعله الله عز وجل من الخير والبركة على يد أمه أم سليم رضي الله تعالى عنها؛ حتى إن الذهبي رحمه الله قال عن أنس بن مالك رضي الله عنه: الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام[٢]. فهذه خمسة ألقاب لقب بها أنسًا رضي الله عنه الذهبيُّ رحمه الله تعالى؛ وذلك لما حصل من الخير له، وهذا كما تقدم من الفضل والبركة التي جعلها الله عز وجل على يد هذه المرأة.

وقد جاء في سنن أبي داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأنس: «**يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ - أَوِ الْبُصَيْرَةُ - فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا، وَكِلَاءَهَا، وَسُوقَهَا، وَبَابَ أُمَرَائِهَا،**

(١) ليست هناك علاقة بين أنس بن مالك، وبين الإمام مالك بن أنس إلا علاقة الإسلام، فالإمام مالك إمام المدينة من أتباع التابعين، توفي عام تسعة وسبعين ومائة، وهو من ذي أصبح من حمير، وهناك صحابي آخر اسمه أنس بن مالك الكعبي القشيري النجدي غير أنس بن مالك الأنصاري، وقشير من قبائل من نجد من بني عامر بن صعصعة، وتقدم لنا أن أنس بن مالك خادم الرسول من الأنصار، وكلاهما: أنس بن مالك القشيري، وأنس بن مالك الأنصاري نزل البصرة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٩٦).

وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»(١). فهذا الخطاب موجه لأنس من قبل الرسول ﷺ، يحذره من سباخها، ويوصيه بضواحيها، والضواحي: أطراف المدن، والسباخ جمع سبخة، وسبخة البصرة معروفة، وإليها ينسب فرقد السبخي، أحد التابعين أو أتباعهم.

وفي هذا الحديث من علامات نبوته ما أخبر به النبي ﷺ أن الناس سوف يبنون مدنًا، ومنها البصرة، ثم هو يوجه خطابه لأنس دون غيره من الصحابة، وتتحقق بشارة النبي ﷺ، بمرور الأيام، يفتح الله على المسلمين، وفي عهد عمر تبنى مدينة البصرة، فكانت أول مدينة بنيت في الإسلام، وقيل: إن الكوفة بنيت معها في وقت واحد، ثم بعد ذلك بنيت غيرها من المدائن.

وينزل أنس رضي الله عنه البصرةَ ويسكنها، وينشر العلم والخير، وبنفع الله به نفعا عظيما، وروى عنه جمع غفير وتعلم منه الكثير، ويؤسس فيها مدرسة حديثية، نفع الله بها.

مدرسة الحديث بالبصرة:

لقد ذكر المزي رحمه الله أكثر من مائتي شخص ممن روى عن أنس وتعلم منه

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الملاحم، باب: في ذكر البصرة (٤٣٠٧) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا عَبْدُالْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالصَّمَدِ، حَدَّثَنَا مُوسَى الْحَنَّاطُ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا ذَكَرَهُ عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ...

وأخذ عنه العلم، منهم من تعلم الكثير من أنس، ومنهم من روى الشيء الكثير، وعلى رأس طلاب أنس بن مالك:

(١) **قتادة بن دعامة السدوسي**: وقتادة هذا ولد أكمه -أعمى- لكنه كان من أحفظ الناس، وقد روى عن أنس بن مالك بالمكرر (٣١٣) حديثًا[١]، حتى جاء إلى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى الذي يقول عنه علي بن المديني: أوسع التابعين علمًا، وأخذ قتادة يسأله ويتعلم منه، فآذاه بالسؤال، يريد أن يتعلم، قال: آذيتني، هل كل ما حدثتك حفظته؟ قال: نعم، قال: قم فقد نزفتني أو نحو ذلك.

وكان رحمه الله حافظًا، وقد قال لسعيد بن أبي عروبة: أمسك عليَّ سورة المصحف، فقرأ البقرة، فلم يخط في حرف[٢].

(٢) **ثابت البناني**: من الثقات الأثبات، وقد روى عن أنس بالمكرر (٢٣٧) حديثًا[٣]. وكان أنس يحبه، وكان يقول: ثابت دويبة أحبها.

(٣) **حميد بن أبي حميد الطويل**: وقد روى عنه بالمكرر (٢٦٠)

---

(١) ومن أكثر من روى عن قتادة: سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وشعبة وهمام. ينظر: رسالة شيخنا «الدراية بسلاسل الحديث» ضمن قسم الحديث من هذا الجامع.

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري: (٧/ ١٨٦).

(٣) ومن أكثر من روى عنه: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسليمان بن المغيرة القيسي. المصدر السابق.

حديثًا[١].

(٤) **الزهري**: وقد روى عنه بالمكرر (٩٧) حديثًا، وأما أصحاب الزهري فمشهورون.

(٥) **الحسن البصري**: الذي اشتهر بين الناس ذكره إلى الآن، وهو من طلاب أنس بن مالك.

(٦) **ابن سيرين**: وهو من أفاضل التابعين من طلاب أنس بن مالك، حتى إن أنسًا أوصى أن يغسله محمد بن سيرين إذا مات؛ فهو عالم مشهور، وكان مشهورًا بتعبير الرؤيا، وقد لَحِقَ ابنَ سيرين دَيْنٌ، كان سببه شدة ورعه، حيث اشترى زيتًا وكان تاجرًا، فوجد فأرًا ميتة في الزيت، وجاء في «صحيح البخاري» عن ابنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِاللهَّ بْنِ عَبْدِالله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ مَيْمُونَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ، فَقَالَ: «**أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ، وَكُلُوا سَمْنَكُمْ**»[٢]، لكن من ورع ابن سيرين، ألقى الزيت كله، فلحقه دَيْنٌ بسبب ذلك، وهذا من ورعه رحمه الله.

ابن سيرين وتعبير عجيب للرؤى:

يقولون: إن ابن سيرين إذا سئل عن تعبير رؤيا أجاب بسرعة، لكنه إذا

---

(١) ومن المكثرين عنه: إسماعيل بن جعفر وحماد بن سلمة وخالد بن الحارث الهُجَيمي.

(٢) «صحيح البخاري» كتاب الوضوء، باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء (٢٣٥).

سئل عن فتوى تَقَبَّضَ، وهذا من ورعه وخوفه، وإلا فهو من كبار العلماء رحمه الله.

ومن بعض الرؤى التي فسرها:

أن رجلًا أتى إليه وقال له: إني رأيت كأني وجارية لي سوداء نأكل في قصعة من صدر سمكة، فقال له ابن سيرين: يخف عليك أن تهيئ لي طعامًا وتدعوني إلى منزلك، قال: نعم، فهيأ له طعامًا ودعاه، فلما وضعت المائدة إذا جارية له سوداء ممتشطة، فقال له ابن سيرين: هل أصبت من جاريتك هذه شيئًا؟ قال: لا، قال: فإذا وضعت القصعة فخذ بيدها فأدخلها المخدع، فأخذ بيدها فأدخلها المخدع، فصاح يا أبا بكر رجل والله، قال له ابن سيرين: هذا الذي كان يشاركك في أهلك[1].

انظر إلى تعبير ابن سيرين، وهذا توفيق من الله عز وجل لابن سيرين؛ ولذا فقد أوصى أنس رضي الله عنه بأن يغسله ابن سيرين.

ومن الرؤى أيضًا أنه جاء رجل إليه، وقال: رأيت فيما يرى النائم حمامة التقمت لؤلؤة فأخرجها أعظم مما دخلت، وثانية: أخرجها أصغر، والثالث: أخرجها كما دخلت.

فقال ابن سيرين: تفسير رؤياك: الذي أكل اللؤلؤة وأخرجها أحسن مما

(١) «تاريخ دمشق»: (٥٢/ ٢٣٣).

هي عليها، هو الحسن البصري، كان يحسن الحديث بمنطقه، فالحسن البصري رحمه الله كان من أصحاب البلاغة والبيان؛ ولذا قيل له: نحن نسمع كلام غيرك ولا نتأثر به كما نتأثر بك، فقال: ليست النائحة كالثكلى. فالنائحة التي تستأجر للنياحة ليست مثل المصابة بالمصيبة، وكان رحمه الله عالمًا عابدًا مجاهدًا، -نسأل الله من فضله-.

وأما الرجل الذي يخرجها أصغر مما هي عليه، فهذا أنا محمد بن سيرين، وكان ابن سيرين عنده تورع في باب الرواية، وكان لا يرى التحديث بالمعنى؛ ولذا لو شك في شيء قد ينقصه من الحديث.

قال: وأما الذي أكل اللؤلؤة وأخرجها كما هي، فهذا قتادة أحفظ الناس، كان يحفظ الشيء بمجرد سماعه، وما كان يزيد ولا ينقص[1].

(٧) **الزهري راوية الإسلام:** من تلاميذ أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨) **يونس بن عبيد:** وهو أيضًا من تلاميذ أنس، وكان رجلًا تاجرًا، ولكنه غاية في الورع رحمه الله.

غرست لكم غرسًا لا يقلعه إلا الدجال:

وهؤلاء التلاميذ أخرجوا أيضا تلاميذ آخرين، وانظر إلى كلام بقي الدين بن مخلد القرطبي الحافظ حين يقول لبعض أصحابه: غرست لكم غرسًا لا

(١) ينظر: «العلل برواية عبدالله»: (٢٣٩٥).

يقلعه إلا الدجال. أيُّ غرس في الأندلس؟ هل غرس بَقِيٌّ أشجارًا؟ لا بل غرس علم الحديث.

وهذا الشيخ فيصل آل مبارك رحمه الله توفي من نحو خمس وعشرين سنة أو نحو ذلك، وكان قاضيًا في الشمال في الجوف، وقد قال: عندي غرس، وأريد أن يتركوني حتى ينتج هذا الغرس، فظن الأمير أن الغرس نخل أو ما شابه ذلك، لكن ماذا يقصد الشيخ فيصل آل مبارك؟ إنه يقصد تلاميذه وطلابه، وفي سنة من السنوات حججنا وقالوا: هذا من تلاميذ فيصل آل مبارك، فهذا هو الخير، كل شخص علمته لك أجر، وكل ما علَّم هو لك أنت به أجر، فأنس بن مالك -والله أعلم- يأخذ أجور من علمهم إلى الآن، فنحن نردد إلى الآن: قال أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك إن شاء الله في ميزان أم سليم التي كانت السبب في هذا الخير.

من تلامذة تلاميذ أنس رضي الله عنه:

أنشأ تلاميذُ أنسٍ تلاميذَ آخرين، منهم:

(١) **أيوب السختياني**: الذي يقول عنه شيخه الحسن البصري: سيد شباب أهل البصرة أيوب السختياني، فكان عالمًا جليلًا، وقيل للإمام مالك إمام أهل المدينة: كيف رويت عن أيوب السختياني وهو ليس من أهل بلدك؟ -لأن الإمام مالك من أهل الحجاز من المدينة-، قال: رأيت أيوب السختياني

كلما ذكر رسول الله ﷺ فاضت عيناه، ورأيت الرجل خاشعًا لله؛ فلذا رويت عنه.

(٢) **حمادُ بنُ سلمةَ**: الذي قيل عنه: لو أن ملك الموت على بابك بعد ساعات يقبض روحك، يقولون: لما استطاع أن يزيد من العمل، فليس عنده وقت، كل وقته في العمل لله، وفي طاعة الله، وإن كان لابد أن يعمل للدنيا، فالإنسان إذا نوى بعمله الدنيوي وجه الله ﷻ يُثَاب، فالإنسان إذا عمل حتى يكف وجهه عن الناس، ينفق على نفسه وعلى أولاده له أجر إذا نوى نية صالحة.

وفي هذا مبالغة؛ لقول الله ﷻ عن نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[1]، وهو سيد الخلق ﷺ، يقول: لاستكثرت من الخير، فينبغي الالتفات إلى مثل هذه الكلمات التي تحمل المبالغة.

(٣) **حماد بن زيد**: وهو ثقة ثبت.

ثم برز من تلاميذ هؤلاء: يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وهما من الثقات الأثبات، ومن تلاميذيهما الإمام أحمد الذي يقول عنه أبو زرعة الرازي: كان يحفظ ألف ألف حديث، أي (مليون حديث) قيل لأبي

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٨).

زرعة: كيف عرفت أنه يحفظ ألف ألف حديث؟ قال: ذاكرته. أي عندما نزل أبو زرعة بالإمام أحمد، ترك الإمام أحمد النوافل، واقتصر على الفرائض، وجعل الوقت الذي يقضيه في النوافل ليتذاكر مع أبي زرعة، وكان أبو زرعة حدَثًا شابًّا، ومذاكرة العلم تجعله يبقى ويزداد، وعدم مذاكرته تجعل العلم يذهب وينسى الإنسان، و قد تعلم الإمام أحمد الحديث على يد يحيى بن سعيد القطان وابن مهدي.

ومن تلاميذ هؤلاء أيضًا: علي بن المديني الذي قال عنه النسائي: كأنه خلق للحديث، وهذا أيضا فيه مبالغة؛ لأنه ما خلق إلا لعبادة الله ﷻ، لكن قيل هذا من علمه بالحديث.

وقد قال البخاري ؒ: ما استصغرت نفسي عند أحد -أي ما قللت من شأني عند أحد من العلماء- إلا عند علي بن المديني. وهذا لعلمه، والبخاري ؒ يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومائة ألف حديث غير صحيح، فحتى الأحاديث الضعيفة كان يحفظها ؒ، وهذا كله من غرس أنس بن مالك ؓ الذي حصل له ما حصل بفضل أمه أم سليم ؓ.

نظرة في كتب التراجم:

عندما ينظر الإنسان في كتب التراجم، فإنه يجدهم يقولون: فلان الحلبي، فلان الدمشقي، فلان الكوفي، فلان البصري، فلان البغدادي، وقبل ذلك: فلان المكي، فلان المدني، فلان المصري، إلا فلانا النجدي، لا يوجد في القرن

الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن إلا شيء يسير، لكن بحمد الله يوجد الآن علماء كثر، وهذه البلاد من أكثر الناس علماء؛ لما جعله الله ﷻ من الخير على يد محمد بن عبد الوهَّاب، وإلا فهذه البلاد لم يكن فيها علماء، كان الناس يتركونها، لا دين ولا دنيا، وكان الناس إذا أرادوا العلم ذهبوا إلى الحواضر الإسلامية، ومن أراد الدنيا ذهب إلى الشام أو العراق أو مصر أو خراسان، والصحابة قد نزلوا خراسان والعراق ومصر، وأماكن كثيرة، لكن لم ينزلوا في نجد؛ لقلة الناس فيها، ثم بفضل الله أصبحت هذه البلاد محط أنظار طلبة العلم؛ لما جعله الله من الخير على يد الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب، الذي قام بالدعوة بمفرده، ثم نصره الله ﷻ بمحمد بن سعود رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تعالى، والحمد لله تسلسل العلماء بعد ذلك.

كرامة بَيِّنَةٌ لأنس رضي الله عنه:

قال ثابت البناني: جاء كهرمان أنس أي خادمه، فقال: عطشت أرضوك، فتردَّى أنسٌ[1]، ثم خرج إلى البرِّيَّة، ثم صلَّى، ودعا، فثارت سحابةٌ، وغشيت أرضَه وَمَطَرَتْ، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصَّيْفِ، فأرسلَ بعضَ أهله، فقال: انْظُرْ أينَ بلغت؟ فإذا هي لم تَعْدُ أرضَه إلا يسيرًا. روى نحوه الأنصاري، عن أبيه، عن ثمامة. قال الذهبي: هذه كرامة بينة ثبتت

---

(١) أي لبس رداءه.

بإسنادين[١]، وجاءت بإسناد آخر عن ثمامة عن أنس، فانظروا إلى سرعة استجابة الله رب العالمين لعبده أنس رضي الله عنه.

فالصدق في دعاء الله تعالى، سبب لاستجابة الدعاء، فإذا صدق الإنسان وألحَّ على الله في الدعاء، استجاب الله له: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٢].

أين القلوب الحية؟!

وهناك قصة أخرى مماثلة لقصة أنس، حدثنا بها الشيخ عبدالله الغنيمان -حفظنا الله وإياه وجميع المسلمين- يقول: حدثت في جنوب الرياض، أن رجلًا كان عنده أرض عطشت، فجاء للشيخ وطلب منه أن يستسقي، فقال الشيخ: ليس هذا وقت مطر، أنت ادع الله ﷻ، فقام ودعا الله ﷻ فجاء المطر، لكن أين القلوب الحية التي تلح على رب العالمين؟!

وقد سمعت في إذاعة القرآن الكريم أن شخصًا جاء ليشتري دواءً لزوجته من الصيدلية، فوجد امرأة تحاسب على دواء اشترته لولدها، فأخبرها صاحب الصيدلية أن المبلغ أكثر من مائة ريال، فأخذت تطلب منه السماح والعذر؛ لأنه ليس عندها مال يكفي، فقال صاحب الصيدلية: لا أستطيع؛ لأنه مؤتمن،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٠٠- ٤٠١).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٢٢).

فأرادت أن تُرْجِعَ بعض الأدوية وتقتصر على المهم، والدواء كله مهم لكن ماذا تفعل؟! فسمعها شخص فجاء وحاسب عنها، فقالت: الله يعافي أولادك، فقال: يا أمي ما عندي أولاد، فرفعت يديها وأخذت تدعو أن يرزقه الله بالأولاد، قال هذا الشخص: فركبت السيارة وهي تدعو، قال: وبعد شهر ونصف حملت زوجتي ورزقه الله بأولاد آخرين غير هذا.

فأنا أدعوكم ونفسي إلى أن نلح على الله ﷻ، وندعو لأنفسنا ولإخواننا المسلمين المساكين خاصة الذين يقاتلون وهم في حصار، ويجري عليهم ما يجري من الضنك والشدة، فأنا أدعوكم ونفسي إلى أن ندعوَ لأنفسنا ولهم ونكثر من الدعاء.

في كل ليلة أرى حبيبي:

وأذكر موقفًا آخر لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، والمواقف كثيرة، يقول المثنى بن سعيد: سمعت أنسًا يقول: ما من ليلة إلا وأرى فيها حبيبي. ثم يبكي. مَنْ حبيبُه؟ إنه سيد الخلق ﷺ يبكي شوقًا إلى حبيبه ﷺ، رزقنا الله وإياكم رؤية النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، في الدنيا في المنام، وفي الآخرة نجتمع معه ﷺ تحت لوائه، رزقنا الله ذلك وإياكم وجميع المسلمين.

أحسن الناس صلاة في السفر والحضر:

يقول أنس بن سيرين[١]: كان أنسُ بنُ مالكٍ أحسنَ الناس صلاةً في الحضر السفر، وقد نص على حسن صلاته في السفر؛ لأن الإنسان في السفر عادة ما يكون مسرعًا في صلاته، فكان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ إذا أرادوا أن يعرفوا منزلة رجل نظروا إلى صلاته، إلى ركوعها، وإلى سجودها، وإلى خشوعه وعدم استعجاله، ونحن الآن إذا أردنا أن نمدح شخصًا نقول: فلان ثقيل، أي: يتأنى بالأمور، وليس بإنسان عجل، فكيف بالصلاة فهي من باب أولى؟!

وفي «الصحيح» من حديث شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ**»[٢]، فإذا كان الرسول ﷺ يأمر بتسوية الصف، إذا ما بالك بالصلاة نفسها؟! وقليل الآن من يطبق هذه السنة وهي تسوية الصفوف، وفي عهد عمر رضي الله عنه جعل ناسا يُسَوُّونَ الصفوفَ، لأنه قد لا يرى الصف الثاني والثالث وما بعده.

وتسوية الصفوف سنة مؤكدة غفل عنها الآن الكثير إلا من رحم الله، وهذه من سنة الرسول ﷺ، فحسن الصلاة والخشوع في ركوعها وسجودها مما يمدح في الشخص، كما يمدح الشخص بالهدوء والثقل في أموره

---

(١) هو أخ لمحمد بن سيرين، وأكبر منه سنًا، ولمحمد بن سيرين عدد من الإخوة، منهم أخته حفصة بنت سيرين، وهي من العابدات الثقات الجليلات، امرأة من أهل العلم والعبادة، وإذا اجتمع العلم والعبادة فهذا من فضل الله، فأنعم بآل سيرين من بيت.

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الأذان، باب: إقامة الصف من تمام الصلاة (٧٢٣).

وتصرفاته، فمثلا: الأحنف بن قيس التميمي السعدي كان معروفًا بالثقل والهدوء والرزانة، وكان أحد الأشخاص يعطي لبعض الناس مالا بشرط أن يغضب الأحنف بن قيس، وفي مرة من المرات جاء شخص يسب الأحنف بن قيس، والأحنف ساكت، وكانوا في خارج المدينة، فعندما أقبلوا على المدينة قال: يا هذا إذا كان عندك شيء هاته؛ فأخاف أن تسبني أمام قومي يضربونك، وكان الأحنف بن قيس إذا غضب غضب معه عشرة آلاف سيف؛ لأنه لا يغضب إلا لأمر مهم؛ وفي «الصحيحين» من حديث ابنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**(١).

مدد يا بدوي!!

نعود إلى أنس رضي الله عنه، قام أنس ودعا الله عز وجل فاستجاب الله له، فأين هؤلاء الذين يقولون -والعياذ بالله-: مدد يا بدوي(٢)، مدد يا عبدالقادر الجيلاني، مدد يا رفاعي، فهذا الكلام من الشرك والعياذ بالله، وهذا هو دين الجاهلية أيها الإخوة، وقد جاء في إذاعة الأهواز بإيران يبثون باللغة العربية، وأهل

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب (٦١١٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب (٢٦٠٩).

(٢) حتى إن أحد الجاهلين قال في أحد الاحتفالات: نحن في مولد السيد البدوي المهاب الذي إذا دعي في البر والبحر أجاب. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الأهواز أغلبهم عرب، لكن الفرس جعلوا كثيرًا منهم رافضة، فيقابلون شخصًا في ليالي عاشوراء، ويقول له المذيع: ماذا تريد من الحسين في هذه الليلة؟ قال: أريد أن ينصر الإسلام والمسلمين -والعياذ بالله- فيا جاهل، الحسين رضي الله عنه ما استطاع أن يدفع عن نفسه ولا عن أهل بيته القتل، فكيف ينصر الإسلام والمسلمين؟!

فانظروا إلى هذا الغباء والجهل -نسأل الله العافية والسلامة- فهم يقولون: إن الحسين رضي الله عنه مُنِع من أن يشرب من الماء، فإذا كان الحسين لم يستطع الشرب من الماء بسبب منع مخلوق مثله له من الشرب، فكيف ينصر الإسلام والمسلمين؟!! أين العقل؟!! فهذا جهل -عافانا الله وإياكم-.

فاستجبنا له:

فالإنسان لابد أن يتوجه إلى ربه بالدعاء، فهذا يونس ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[1]، فماذا قال الله ﷻ؟ قال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[2]، نجَّاه رب العالمين من بطن الحوت، من ظلمات ثلاث، من ظلمة بطن الحوت، ومن ظلمة الليل، ومن ظلمة البحر، وألقاه الحوت

(١) سورة الأنبياء، الآية (٨٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٨٨).

على الساحل، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون؛ لأنه توجه بكليته إلى ربه ﷻ، فكيف يتوجه الإنسان إلى مخلوق مثله، فانظر إلى بعض الجهلة وهو يقول: يا عبد القادر يا جيلاني يا متصرف في الأكوان -أعوذ بالله-هل يتصرف عبد القادر الجيلاني رحمه الله في الكون؟!! إذا ماذا بقي لله ﷻ؟!! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وعبد القادر الجيلاني رجل صالح وهو عالم من العلماء كان ببغداد وتوفي هناك رحمه الله، وهو من جيلان من عند أفغانستان، وهو إنسان مخلوق.

فإذا صدق الإنسان في دعائه لله وألح على ربه ﷻ، فإنه يحصل له أمر من ثلاثة أمور، كما جاء في النصوص ما يبين ذلك:

أولًا: إما أن يستجاب له.

ثانيًا: أن يُصْرَفَ عنه من السوء بقدر ما دعا.

ثالثًا: أن يُدَّخَرَ له في يوم القيامة.

فأنت على خير في الدعاء، وفي حديث سالم بن أبي الجعد عن كريب عن ابن عباس، قال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِي بَيْنَهُمْ ولد لم يَضُرُّهُ**»[1] ذكرت هذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: باب ما يقول إذا أتى أهله (٦٣٨٨)، ومسلم كتاب النكاح (١٤٣٤).

الحديث؛ لأن الرسول ﷺ علمنا الدعاء حتى في هذا الوقت الذي يريد الإنسان أن يأتي فيه أهله، فكيف وأنت في الصلاة؟ وأنت في المسجد؟ وكيف وأنت في وقت السحر؟ وكيف وأنت في آخر ساعة من ساعات الجمعة؟ إذًا فلتكثرْ من الدعاء.

هذا بعض ما تيسر من الفوائد والدروس المستفادة من قصة أم سليم رضي الله عنها، وبالله تعالى التوفيق. والحمد لله رب العالمين.

